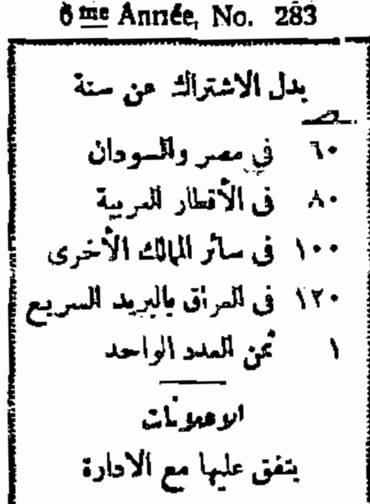
6me Année, No. 283

Lundi - 5 - 12 - 1938


بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة



ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٢٨٣ | « القاهرة فى يوم الأثنين ١٣ شوال سنة ١٣٥٧ — ٥ ديسمبر سنة ١٩٣٨ » | السنة السادسة

الفهـــــرس

من مآسى الحياة

ليت للأوقاف عينا !

ليت للأوقاف عيناً تخترق الجُدُرَ وتشق الأستار فترى ماذا يصنع البؤس بأهله !! إنها وا أسفا تسمع ولا تبصر : تسمع ذلك البؤس الملحّ الوقح الذى يغضب ويصخب ويثور ، ثم يقتحم عليها الحجّاب والأبواب ومعه فوق لسانه الملحف بطاقة من كبير أو وساطة من موظف . وهذا البؤس الذى يدع لأهله قوة السعى وبراعة الحيلة لا يكون فى أكثر حالاته إلا طمعاً أو حرفة. أما ذلك البؤس الدفين الصامت الذى يستمين على ضحاياه بكبرياء نفوسهم فيسلبهم الحس والحركة ، ويمنعهم الأنين والشكوى ، فلا يراه إلا الله الذى فرض الزكاة ، وأوجب الرحمة ، وجعل على عباده خليفة منهم ينطق بلسانه ، ويرى بعينه ، ويحكم بأمره

إن فى بعض الدور ومن وراء الستور ظلالاً من الحياة الغاربة على أمثال الخيال من بنى آدم ؛ تنسم أنفاسهم الضعيفة بما بقى من أرواحهم الخافتة فى إسلام مؤمن واستسلام صابر . فاذا كشفتهم الحاجة للعيون حسبهم الجاهل أقوياء من الصبر ، أغنياء من التجمل ، حتى يستوفوا أجلهم المكتوب وتذهب بهم المنون وهم فى وحدة الفقر ، كما تذهب شمس الصحارى بأنداء الفجر

كان لنا جارٌ مدرس فى مدرسة شبرا الثانوية يجثم تحت جناحيه أربع بنات وثلاثة بنين وزوجة وأم ، يقلبهم على ما يشتهون من لذاذات العيش الغرير، فيأكلون أكل السرف ، ويلبسون لباس الترف ، ويلهون لهو المجانة ؛ حتى كانت غُرَف البيت من فيض النعيم ومرح العافية كأعشاش البلابل سالمتها الأحداث فى جنة من الحَب والماء والشجر . ثم لحظتهم عين الدهر فأصيب الأب بمرض السكر ؛ وعقر إصبعه الحذاء ذات يوم فأصابته قرحة ساعية[1] . نقلوه إلى المستشفى القبطى فبتر الجراح رجله . وسعت عليه زوجه بالمال والأمل فلم تستطع أن ترد قضاء الله ولا أن تدفع عادية الموت . . . وانقلب المنزل الفرح المرح النشوان قبراً رهيباً يغشاه الحزن ، ويجلله السواد ، وتخيم عليه الوحشة . فلا زوار يَقْدَمون بالهدايا ، ولا سمار يفدون بالأنس ، ولا ولائم تشرق فيها النفوس والكئوس كل جمعة

وبحثت الزوجة عما خلَّف الزوج الراحل فلم تجد غير ذلك المال الذى كان تحت يدها وقد أنفقته كله فى العلاج والجنازة . ونجمت حول بيتها الحزين رءوس الدائنين تندلع ألسنتها بالمطالبة الفاضحة . فنزعت إلى وزارة المعارف تسألها أن تسرع فى أداء ما لزوجها من الحق ؛ فأعطتها بعد لأْى مكافأته على السنين السبع التى قضاها فى مدارسها . فقد كان من قبل مدرساً بأحد مجالس المديريات ، فلم يجتمع له الزمن الذى يؤهل لاستحقاق ورثته جزءاً من المال على سبيل المعاش . وذهب الغرماء بالمكافأة ، وبقيت الزوجة وحماتها وبنوها السبعة فى غشية الهم وصدمة الواقع ، يتلمسون نفساً من الكرب أو شعاعاً من الرجاء يطالعهم من قريب أو صديق فلم ينالوا . وتذكرت الأيم المسكينة أن زوجها كان يعلّم ابن وزير الزراعة فلاذت به تسأله أن يساعدها بجاهه على تربية أولادها فى مدارس الوزارة ، فتخلص منها بخمسة جنيهات ثم أغلق من دونها بابه

كان بين الزوجين ماتة قرابة ؛ وكانت أسرتهما من الأسر الريفية التى ألوى بها الدهر المديل، فلم يبق منها إلا عجائز وأيامى يعشن على معونة الأستاذ الفقيد ، ثم موظف صعلوك فى شركة سنجر لم تره الأرملة إلا يوم الجنازة . وقد حملها بغروره على أن تنفق خمسين جنيهاً على ليلة المأتم ، لأن أقطاب التعليم وأعيان الأدب لا يعشون إلا على الطنافس الفارسية، ولا يجلسون إلا على الكراسى الذهبية !

وكان للفتاة الكبرى خاطب غنى من أصحاب أبيها ، فلما وقف على حال الأسرة بعد كاسبها انقطع خبره فكأنما غابا معاً فى قبر واحد ! وعجزت الأم عن دفع المصروفات المدرسية لبنيها وبناتها ، فظلوا حولها فى البيت يندبون الميت ، ويبكون الحي ، ويسدلون على مأساتهم الفاجعة ستاراً من الصمت والعزلة حذر الشامت . فما كان بابهم ينفتح إلا لتجار الأثاث القديم يخرجون منه بصفقة بعد صفقة من الفرش أو المتاع

ولبثوا على هذه الحال ستة أشهر لم يدفعوا عنها شيئاً من كراء المسكن للحاج محمود ، حتى أدركته عليهم شفقة المؤمن ، فنزل لهم عن الدَّين ونقلهم إلى غرفتين على سطح من سطوح منازله الكُثُر يسكنونهما من غير أجرة

وتركنا حى شبرا منذ خمس سنين فلم نعد نعلم من حال هذه الأسرة المنكوبة شيئاً

وفى صباح أمس الأول كنت فى ميدان باب الحديد، فتقدم إلىّ صبى من باعة الصحف يحيينى وهو يبتسم . فتفرسته فاذا هو إبراهيم أوسط الأخوة الثلاثة ! فصحت به مستطار القلب من دهشة المفاجأة :

— ماذا فعل الله بكم يا مسكين ؟

— مرضت أمى بالروماتزم فلا تنهض ، وعميت جدتى من الحزن فلا تسعى ، وتزوجت أختى الكبرى من أحد السعاة فلم تصبر على عشرته غير ثمانية شهور . فهى تخيط بالأجرة ، وأختى الوسطى تدبر المنزل ، وأختاي فلانة وفلانة تخدمان ، وأخواى فلان وفلان يعملان، أحدهما صبى كواء، والآخر خادم بقال، وأنا كما ترى . وكل ما نكسبه فى اليوم لا يتجاوز ثمن الخبز !

* * *

ألا ليت شعرى هل تقيم الحكومة فى عهد الفاروق الصالح المصلح . الركن الخامس من الدين وهو الزكاة ، فتتحقق به أخوة الإسلام ، وتنجلى عن الناس هذه الآثام والآلام ؟

احمد حسن الزيات

[1] القرحة الساعية هى التى تمتد من موضع إلى موضع وهى خلاف الواقفة

القاهرة في العيد

للدكتور زكي مبارك

لم يبق شك فى أن القاهرة أجمل مدينة فى الشرق ، وقد تكون فيها خصائص لا تعرفها باريس ولا برلين . وترجع تلك الخصائص التى تفردت بها القاهرة إلى ما فيها من اختلاف الألوان والأذواق ؛ فهى ملتقى للحضارات الشرقية والغربية ، و مجتمع للصحيح والعليل من العقائد والمذاهب . فالمسلمون ألوان ، والنصارى أشكال ، واليهود أخياف . وفيها مع ذلك ناس لا يدينون بغير التهالك على مطالب الشهوات والحواس

والمدنيّة المنيفة هى ذلك . هى اصطراع الشك واليقين ، والغىّ والرشد ، والهدى والضلال : وليست المدنيّة أن يهتدى الناس جميعاً أو أن يضلوا جميعاً ؛ وإنما المدنية فى تعقيد المذاهب ، واشتباك العقائد ، وتناحر الأجناس . هى تلك الصورة التى توجب أن تقوم الحانة بجوار المسجد ، وأن تدق أجراس الكنيسة بين المواخير ، وأن تكون فى الجامعات أركان يخلو فيها المقامرون ، كالذى كنا نراه فى أروقة السوربون

تلك هى المدنيّة . فلا تعجبوا إن رأيتم من رجال الدين من يلطخها بالسواد فى الخطب والعظات ، لأن رجال الدين لا يتمثلون سيادة الفضيلة إلا فى مكانين : الجنة والصحراء

وإنما كانت الجنة مجالاً لسيادة الفضيلة لأن أهل الجنة أعفتهم المقادير من النضال فى سبيل الأرزاق . والنضال فى سبيل الأرزاق هو الأصل فى خلق الضغائن والأحقاد ، وهو الذى يلبل أهواء العالمين فأغراهم بالقتال حول المذاهب الاقتصادية ، والمسالك المعاشية .

ومن فضائل الجنة أنها ستبيح الناس جميع ما يشتهون من رغائب الحواس ، وبذلك ينعدم القلق الذى يساور أصحاب القلوب والأذواق . ولعل هـذا هو السر فى خلوّ الجنة من الشعراء والكتاب والمفكرين ، فما سمعنا أن الجنة ستكون فيها خطب أو قصائد أو مقالات أو مؤلفات ، لأن هـذه الفنون الأدبية ليست فى الواقع إلا صورة من ثورة العواطف والأذواق والأحاسيس ، وأهل الجنة أراحهم الله من هذا الجهاد

والبادية مجال لسيادة الفضيلة فى رأى أهل الدين لأنها توحى إلى القلوب معانى الزهد والتصوف فيتهدم الطامع أو يكاد ، وبانعدام الطمع تزول أسباب الدس والكيد والزور والبهتان

* * *

هنا القاهرة

أليس كذلك ؟

بلى ، وأنتم جميعاً تعرفون !

كنا نسمع فى عهد الطفولة أن الشياطين تقيَّد فى رمضان ، ثم يحل وثاقها بعد ذلك

ولكن وزارة الأوقاف أو مشيخة الأزهر فى مصر تعرف أن الشياطين تنجو من الأصفاد والأغلال فى مكان واحد : هو القاهرة ، ومن أجل ذلك يترك الوعاظ أعمالهم فى الأقاليم التى قيدت فيها الشياطين ويفدون للوعظ فى مساجد القاهرة التى لم تقيد فيها الشياطين

وإنما كان الأمر كذلك لأن القاهرة مدينة عظيمة جداً من الوجهة الاقتصادية . والمظلمة الاقتصادية هى الأساس لجميع المشكلات ، وهى مصدر الحروب ، وهى مثابة الشياطين

وعند النظر فى هـذه الدقائق نعرف كيف فطنت وزارة الأوقاف إلى سَوق الوعاظ إلى القاهرة فى أيام رمضان

ولكن هل شعرت الجارك بأقوال الوعاظ فى رمضان ؟

وهل يسر الحكومة أن تشعر الجارك بأقوال الوعاظ فى رمضان ؟

ليتنى أملك حرية التعبير عما أريد أن أقول !

لو كنت أملك حرية التعبير لقلت : إن فى مقدور الحكومة أن تراقب الجارك فى شهر رمضان ، ولو فعلت لاستراح الوعاظ من محاربة الشياطين فى رمضان

ولكن الحكومة لن تفعل ، لأن هناك شيطاناً يصدها عن ذلك هو شيطان المدنية الذى يجعل حرية التجارة من الشرائع . وهذا الشيطان الأعظم هو الذى جعلنا نزكى ونختال كلما تذكرنا أن القاهرة أعظم مدينة فى الشرق

* * *

أترك هذه الفلسفة وأشرع فى كلام آخر قد ينفع بعض النفع

أنا أقضى العيد فى القاهرة ، وهى أول مرة أعرف فيها ملاعب القاهرة فى العيد

فقد كنت فى الأعوام السوالف أقضى العيد فى سنتريس قبل أن يرزأنى الدهر بموت أبى ، ثم شاءت المقادير ألا أعرف العيد فيما عدا ذلك إلا فى باريس وبغداد ، فقد دخلت باريس أول مرة فى يوم عيد ، ثم خرجت منها بعد أداء امتحان الدكتوراه فى يوم عيد ، وأنا أواجه العيد فى القاهرة بعد عيدين قضيتهما فى بغداد ...

فهل يكون عجيباً — وهذا حالى — أن أفرح بالقاهرة فى العيد ؟

أنا فى عيد أيها الناس ، فدعونى ألهو وألعب يوماً أو يومين !

هذا هو العيد ، وتلك هى القاهرة

فاعذرونى إن جننت وفتنت بالقاهرة فى يوم عيد

لن أذهب إلى نادى المعارف فى بغداد لأسأل عن رؤية الهلال ، ولن أقضى مساء الشك بمنزلى فى شارع الرشيد

وما الموجب لذلك ؟ لقد صمنا رمضان ثلاثين يوماً ولم يبق إلا أن نواجه الباسمين والباسمات فى شارع فؤاد

إى والله ، هذا شارع فؤاد فى ليلة عيد !

وهل ينتظر شارع فؤاد ليلة العيد ؟

وهل رأى الناس فى مشرق أو مغرب شارعاً مثل هذا الشارع فى الحيوية والابتهاج والانشراح ؟

إن شارع فؤاد لا ينتظر ليلة العيد ، فجميع أيامه ولياليه مواسم وأعياد

وما ظنُّ القارئ بشارع يشهد بأن القاهرة أجمل بقعة فى الأرض وأنها طليعة الفردوس ؟

ما ظن القارئ بشارع يتموَّج فيه الُحسن ويصطخب فيه الفُتُون ؟

ما ظن القارئ بشارع يراه أصحاب الأذواق من المعارض الدولية للصباحة والملاحة والجمال ؟

ما ظن القارئ بشارع هو الشاهد على أن القاهرة أصبحت أجمل مرجع من مراجع الشعر والخيال ؟

وما عسى أن أقول فى شارع كان ولا يزال أعظم مصدر من مصادر الوحى لشعراء وادى النيل ؟

* * *

نحن فى شارع فؤاد ، وهذا مشرب كُتِب على بابه بأحرف من النور الوهاج :

رمضان وَلَّى هاتِها يا ساقى مشتاقةً تسعى إلى مشتاق

رمضانُ وَلَّى ؟ رمضانُ وَلَّى ؟

وهو كذلك !

هاتها يا غلام !

وما أكاد أنطق بهذا اللحن الطرُوب حتى يدخل شيخ من أعلام رجال الدين فيقول : ما أتى بك ههنا يا دكتور !

فأجيب : أنا فى ضيافة أبى حنيفة النعمان !

ويسارع الشيخ فيطلب كأساً من قهوة أبى الفضل لا قهوة أبى نُواس

ويغلبنى التجمل والتوقر فأطلب كأساً من قهوة أبى الفضل وأسعد من قهوة أبى نواس

وما هى إلا لحظة حتى نشتبك فى جدال مزعج ، ثم يتوافد أمثاله وأمثالى ، فتتحول الحانة إلى حلقة من حلقات الأزهر الشريف ، وينظر إلينا غلمان الحانة مبهوتين مذعورين

كيف تنقلب الحانة إلى مثل ما انقلبت إليه فى ليلة عيد ؟

وكيف أعود شيخاً متحجرفاً متنطرساً لا يعرف غير جدال الفقهاء ؟

أيها الشيخ

صدحت نفسى ، صدَّ الله نفسك !

ولكن لا بأس ، فتلك هى القاهرة التى يصطرع فيها الهدى والضلال ؟

* * *

خرجت من الحانة مصدوع الرأس من قهوة أبى الفضل ومن الجدال حول الحرام والحلال ، فأين أذهب ؟

أين أذهب ؟ أين أذهب ؟

هذا صديق خفيف الروح ، ولكنه أيضاً معمَّم وإن كان يحمل الطربوش ، ذلك بأنه يحمل فوق قلبه عمامة أضخم من

عمامة الشيخ الفَتَضالى ، وما رأيت الشيخ الفَتَضالى ولكن عمامته سارت مسير الأمثال . وكان هذا الصديق معمَّم القلب لأنه يلابس رجال الدين بالأزهر الشريف

وأين أذهب فى ليلة العيد مع هذا الصديق المطربش الرأس المعمم القلب ؟

هل أردّه إلى مشارب القهوة والشاى فى حى سيدنا الحسين ؟

أغلب الظن أنه يشتهى السهر بمسقط اللوى بين شارع الألفى وشارع إبراهيم !

* * *

ورباه ما هذا الذى أسمع ؟

لقد سمعت أشياء لم تكن تخطر فى البال . فهل أستطيع أن أصرح ؟

هل أستطيع أن أقول إن حى الأزهر صار قطعة من القاهرة تشتبك فيه نوازع الرشد والغى ، والهدى والضلال ؟

أنا أعرف أن الأماكن التى تصطبغ بالصبغة الدينية تنتفع من الاتسام بسمة الدين . ولكنى أنكر أن يصل الجشع ببعض الناس إلى الوقوع فى مهالك الانتفاع .

يجىء جماعة من جاوة أو من الهند أو من الصين للاستصباح بنور الأزهر الشريف فيحيط بهم ناس لا يؤذيهم أن يستغلوا سمة الأزهر أسوأ استغلال

ولو كان هؤلاء المستغلون تجاراً لخف الأمر وهان . ولكنهم يتصلون بناس لهم فى المعاهد الدينية مكانـــ ، ولهم مع رجال الدين صلات .

فهل يعرف هؤلاء الغافلون خطر ما يجنون على الأدب والوطنية حين يستبيحون « استغفال » بعض الوافدين على الأزهر من أهل جاوة والهند والصين ؟

إن من حق الحى الأزهرى أن ينتفع من صفته الدينيـة . ولـكن من واجبه أن يراعى أصول الأدب والذوق فلا يفارقه زائر إلا وهو معمور القلب بأطيب الذكريات ، فمن العيب أن نشوه سمة الأزهر وسمة مصر لنحصل على منافع خسيسة لا ينصب لها ميزان .

وقد آن لشيخ الأزهر أن يعرف أنه مسئول عن كرامة ذلك الحى ، آن له أن يفكر فى تنظيم هيئة خاليـة من المطامع تشرف على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية فى الحى الأزهرى ، فان لم يفعل فسيجنى عواقب الاهمال بعد حين .

أيتها القاهرة

ماذا تُظهرين وماذا تُضمرين ؟

إكشفى انقناع قبل أن يمزقه القلم أقبح تمزيق

* * *

مضت ليلة العيد وجاء يوم العيد

الدنيا تموج بالمحاسن والفاتن فى كل أرجاء القاهرة ، وكل مكان فى القاهرة مباح إلا الحدائق

ولماذا ؟ لأن النعيم بحدائق القاهرة مقصور على أطفال الملاجىء فى يوم العيد

الحمـــد لله

« لا يزال فى القاهرة مجالٌ للطيبات »

أما بعد فقد انقضت أيام العيد ، وبقيتَ يا قلبى بلا عيد

أين أيامك ياقلبى وأين لياليك ؟

وما حظك من هذه المدينة التى تموج بالسحر والفتون ؟

أ كل حظك أن يطوف بك العقل حول هذه الأشواك ؟

ليت عهدك بالغواية كان طال ، وليت الأقدار رحمتك من ثورة العقل فى هذه الأيام !

كُتبَ عليك يا قلبى أن تعيش بين أدغال المدنية ، حيث لا يحنو قلب على قلب ، ولا يأنس روح بروح ، ولا تأتلف نفس مع نفس ، إلا بروابط وثيقة من أصول المنافع ، وآه ثم آه من عصف المنافع بأهواء القلوب !

أتراني غدرت بك ، أيها القلب ؟

احذر أن يمرّ هذا فى وهمك ، فما كنتُ إلا أ كرم صاحب وأشرف صديق

وهل غدرتُ بأحد حتى أغدر بك ؟

لقد عانيتُ فى سبيلك ما عانيتُ فطوّفتُ بالمهالك والمعاطب لأروى ظمأك المشبوب ، ولأريك مطالع الأهلة فى القاهرة والاسكندرية وباريس وبغداد

وما زلتُ أتلطف بك يا قلبي وأترفق ، وهل صادفتُ من صادفتُ من كبار الكتاب والشعراء إلا لأزفّ إلى رحابك كرائم المعاني ؟

ولكنك — مع فضلي عليك — تلقاني باللوم في بعض الأحيان

وإلا فما هي حجتك في الهيام بعروس الزمالك ؟

عرفتُ حجتك يا قلبي ، أنت تريد أن تصدني عن الحتف الذي ينتظرني في البلد الذي أعرف وتعرف

أنت تريد أن تصدني عن « الجميلة الوفية » التي ترسل بعض جدائلها المعطرة في كل خطاب ولم تظفر مني بجواب ، شكر الله فضلها الجميل وعفا عني

عرفت حجتك يا قلبي ، فأنت تريد أن تقول :

ويحسب نسوانٌ من الجهل أنني إذا جئتُ إياهن كنتُ أريدُ
فأقسم طرفي بينهن سويَّةً وفي الصدر بونٌ بينهن بعيدُ

أتريد أن تقول ذلك ؟ وكيف وأنا أحب معك عروس الزمالك ؟

أحبها من أجلك يا قلبي ، وأحبها لأنها سمية الاسم الذي تعرف وأعرف

أحب التي هنا والتي هناكُ ، وأطلع كما يطلع القمر بكل سماء ، وأهيم هيام النسيم بجميع الحدائق والبساتين

ولكن متى تجيب صاحبة الجدائل المعطرة يا قلبي ؟

حدثني متى تجيب ، فقد يحملها اليأس على الصدود

أيها الجمال

تحدث ولا تقل غير الحق

هل عرفتَ قلباً أشرف من قلبي ، وضميراً أطهر من ضميري ؟

وأنت أيها الليل

هل عرف الجيون من أسرارك ماعرفتُ ؟ وهل استصبحوا بظلامك كما استصبحتُ ؟

« مصر الجديدة » زكي مبارك

مقالات في كلمات

للأستاذ محمود غنيم

الحياة والأمل

قالوا : إن فرعون حينما أراد أن يبلغ الأسباب ، أسباب السموات فيطلع إلى إله موسى ، هيىء له تابوت ذو أربعة أعمدة ، ثم علق في أسافل تلك الأعمدة أربعة نسور خماص ، وفي أعاليها أربعة حملان مسلوخة الجلود ، ثم استقل فرعون التابوت فانطلقت النسور تشق أجواز الفضاء ، تمني نفسها عبثاً بذلك اللحم الغريض ، ثم كان من أمرها ما كان

وما أظن أننا في هذه الحياة إلا أشبه بتلك النسور ، وما أظن الغاية التي نسعى إليها أقرب من تلك الحملان ، مع تعديل طفيف في طرفي التشبيه ، فنسور فرعون تسعى وراء أمنيـة لا يقسى تحقيقها ، ونحن كلما تحققت لأحدنا أمنية أسلمته إلى أخرى ، وهكذا يقضي الانسان عمره وراء سلسلة من الآمال متصلة الحلقات غير متناهيتها ، حتى يخر صريعاً وأمانيه حوله ، وقد حال بينهما من الموت سد منيع

هذا طالب ينشد شهادة ، وهذا حامل شهادة ينشد راتباً ، وهذا ذو راتب يريد أن يتضاعف ، إلى آخر تلك السلسلة التي لا تنتهي حلقاتها

ثم هذا شاب يريد أن يتزوج ، وهذا زوج يريد أن ينجل ، وهذا ناجل يريد أن يرى أنجاله رجالاً ، إلى آخر تلك السلسلة التي لا تنتهي حلقاتها

ثم هذا قائد يريد أن يكون وزيراً ، وهذا وزير يريد أن يكون أميراً ، وهذا أمير يريد أن يوطد نفوذه أو يوسع رقعة ملكه

قالوا لنابليون ذات عشية إذ كان يرصد في السماء الأنجما
بعد افتتاح الأرض ماذا تبتغي ؟ فأجاب أنظر كيف أفتتح السما ؟

الحياة نار مشبوبة وقودها الأمل ؛ وهي قطار ، وهو بمنزلة البخار ، وإن للطبيعة في خداع الناس عن هذا الطريق أفانين ، فهي تزين للانسان الغاية من الغايات ، فيبدي إخمصيه سعياً وراء

عقيقها ، حتى إذا جاءها لم يجدها شيئاً ، فتلوح له بأخرى ، وهكذا يقضى الانسان حياته فى سعى متواصل ، وهى لا تتورع فى هذا السبيل عن خداع الناس بالحق وبالباطل ، وعندها لكل صنف من الناس صنف من الآمال يخلب لبه ويغريه ببريقه . أرأيت ذلك الشيخ الحطم الذى يقف بإحدى قدميه على حافة القبر ، والذى لا زوجة له ولا عقب يرث ما له من مال أو لقب ؟ لقد اخترعت الطبيعة له شيئاً يقال له طيب الأحدوثة ، وخلود الأسماء بعد الفناء ، فأجهدته فى شيخوخته الحطمة ولم تدعه يقضى أيامه المعدودة فى أمان واطمئنان

قرأت فى بعض المجلات أن الامبراطور غليوم لا يزال يمنى نفسه بالعودة إلى عرش ألمانيا ، وأنه لا يزال يترقب اليوم الذى يثوب فيه الشعب الألمانى إلى رشده ، فيستدنيه من منفاه ، ويسلم إليه مقاليد الأمور . ولعلك لا تعلم أن المحكوم عليهم بالاعدام لا ييأسون من الخلاص حتى ساعة التنفيذ ، ولهم فروض لا تخطر بالبال ، تنتهى كلها إلى غاية واحدة هى النجاة

إنها الطبيعة ، الطبيعة التى سلحت النساء بالنعومة والجمال لإغراء الرجال ، والتى سلحت الزهر بطيب العرف وألوان الطيف ليجذب الطيور فيشاطر الريح حمل حبوب التلقيح . هى هى التى حاكت لنا خيوط الآمال ، لنتعلق بها فيعمر الكون ، ويسير نحو الكمال

فليت شعرى ، ماذا يدعوها إلى ذلك كله ؟ أهو شىء لا نعلمه ؟ أم لا شىء ؟

الإيمان بالحظ

قال صديق فى تهكم : ألم يبلغك نبأ التعيينات الجديدة ؟

قلت : لا ، وماذا يعنيك من أمرها ؟

قال : إن بين المعينين مدرساً جديداً ، كان بالأمس لى من الأولاد ، فأصبح الآن من الأنداد

قلت : وماذا فى هذا ؟

قال : فيه شىء كثير ، فقد كان صاحبنا هذا هدفاً لسهام المعلمين — وأنا من بينهم — وكان المثل فى كساد الذهن ، وقلما وقعت عينى عليه إلا نائماً أو متثائباً . وكنت أعتبره « ترمومتر » الفصل ، ما فهم أمراً إلا اعتبرته مفروغاً منه مفهوماً من الجميع

قلت : هون عليك ياصديق ، وماذا أنت فاعل إذا جاءك هذا المتثائب النؤوم غداً يفحص أعمالك ، ويقفك منه موقف المسؤول من السائل ، تتلقى إرشاداته ، وتتقبل نصحه بقبول حسن ؟

إنك ياصديقى لا تؤمن بالحظ ، أما أنا فانى مؤمن قوى الايمان به . أعتقد أن للجد (بفتح الجيم)، المرتبة الأولى فى تصريف الأمور ، وللجد (بكسر الجيم) المرتبة الثانية ، فلو شبهنا العالم بفلك لكان الأول بمنزلة الربان ، والثانى بمنزلة السكان

لعل التربة التى أنبتت نابليون — أنبتت من أمثاله عشرات لهم مواهبه ومقدرته على تعبئة الجيوش ، وتسلق الجبال ، واختراق البحار ، ولكن أحدا منهم لم يمهد له الحظ ما مهد لبونابرت من الأسباب . ولو أتيح له ذلك لكان نابليونا ثانيا يصرف ملوك أوربة تصريف قطع الشطرنج ، ويلعب بمجيئتها كما يلعب الأطفال بالصلصال

إن الحظوظ والمصادفات تلعب دوراً هاما فى تاريخ الجماعات بله الأفراد . ومن يدرى ماذا يكون مصير مصر لو لم يقع مارك أنطوان فى حب كليوباطرة ؟ وماذا يكون مصير الاسلام لو لم يتح للمسلمين التغلب فى بدر ؟ بل ماذا كان يكون مصير البشرية جمعاء لو لم تهف نفس حواء إلى شجرة الحنطة أو التفاح ؟

إذا قلت ياصديق : إن الرجال يسعدون أو يشقون بما يقدمون من أعمال ، فما بال الأطفال ، يولد أحدهم فى الغربال ، وتدق لقانيهم البشائر قبل مولده فاذا استهل وجد عرشا يمهد له ، وأمة تراض على طاعته ، وتهافتت عليه المراضع ، وترامت على أقدامه الحواضن ؟

إن الانسان ياصديق ليقضى زهرة شبابه فى كد وتحصيل ، ثم يسعى حتى يبذل الدم فى سبيل الوصول إلى منصب يدر عليه فى عام ما يتقاضاه بعض المطربين فى يوم من الأيام ، فهل كون المطرب صوته ، وخلق لهاته بيديه ؟

وماذا عملت الفتاة تخلع عليها الطبيعة مسحة من جمال ، فيتهافت على بابها من الخطاب وفود ، بينما لا تجد أختها زوجا من عود ؟

وبعد ، فاذا قلنا : إن الملوك قادوا الجيوش فتبوؤا العروش ، فعلى أى أساس شرف الله — جلت حكمته — برسالته أناسا من الدهماء ، فجعلهم أنبياء ، وبشر بهم قبل ميلادهم بمئات من السنوات ؟

قال صديق : الآن آمنت

قلت : إذن استرحت

الذوق والشعر

تتناول قطعة من التفاح فتحس لها طعما لذيذاً ، ثم لا يطالبك إنسان أن تقدم على لذتها دليلا ، ولو حاولت ما استطعت إلى ذلك سبيلا . وتشم عبير الزهر ، فتقول : إنه طيب ، ولو سئلت : لماذا هو طيب ؟ لم تحر جواباً . وتسمع عزف الموسيقى أو خرير الغدير أو سجع الطيور ، فتقول : صوت شجى ، ولكن لماذا هو شجى ؟ لست تدرى ولا المنجم يدرى . وتستطيع أن تقول مثل ذلك في كل منظر جميل يقع طرفك عليه ، فلا يطالبك إنسان بتعليل جماله ، ولو فعلت لطال بك البحث والتدليل ، دون أن تنتهى إلى تعليل

ولكنك حين تستطيب قطعة من النظم طالبك النقاد بإيراد العلل والأسباب ، كأن طيب الشعر في الذوق غير طيب التفاح في الفم ، والزهر في الشم ، والموسيقى في السمع ، والحسن في العين

إنه الذوق ، ثم الذوق وحده ، الذوق الذى يجعلك تشتهى طعاماً وتعاف آخر ، هو الذى يجعلك تسيغ شعراً وتغص بشعر ؛ وهو الذي يقسم القافية إلى قافيتين ، إحداهما تشج الجبين ، والثانية أندى على الأكباد من العذب البراد ؛ وهو الذى يقسم دواوين الشعراء إلى قسمين ، أحدهما للخلود ، والثانى للوقود

لا يخضع الشعر لمنطق النقاد ، فاعتبر كل ما صح من أقيستهم في ذلك سفسطة لا طائل تحتها . وكم من شعر هوجم واستعملت فى مهاجمته أسلحة الأقيسة والبراهين ، وآخر ناصرته تلك الأسلحة ذاتها ، الثاني فى مهده ، وبقى الأول خالداً ، تتداوله الرواة ، وتتناوله الشفاه ...

أرأيت لو قال لك قائل : إن صوت الجمل أشجى من صوت العصفور لأن الأول ألذ طعما وأكبر حجما ، وأوفر شحما ولحما ، أو قال لك : إن ريح البصل أطيب من ريح الزهر لأن الثانى مرير الطعم ، سريع الذبول ، لا يصلح الطعام بخلاف الأول . أرأيت لو قال لك قائل ذلك هل تصيخ إليـه ؟ إنه لم يكذب ولكنه لن يجد له سميعاً

من هذا القبيل قولهم : إن هذا الشعر حافل بالمعاني الفلسفية ، والنظريات الفكرية و ... و ... ثم هو مع ذلك لا يحرك مشعراً من مشاعرك ، ولا يمس وتراً من أوتار قلبك ، بل يسمعه النائم فلا يستيقظ ، والصاحى فينام . وهبه نافعاً كما يقولون ، فما مثله مع ذلك إلا كمثل « زيت الخروع » يستعيذ من شره الانسان ، وإن صحت به الأبدان

حاول ما استطعت أن تعلل سر الجاذبية فى الشعر ، فسوف يعييك البحث . لن تستطيع رجعها إلى لفظ ولا إلى معنى ، فرب لفظين مترادفين أحدهما يقيم البيت ، وثانيهما ينقضه من أساسه . ورب معنى واحد فى بيتين ؛ أحدهما يثير الاعجاب ، والثانى يثير السخرية والاستهزاء

أيها القارئ ، إذا تلاءم الشعر وذوقك فخذه ، وإلا فدعه ، فان قبح الأول لك مقبح ، أو حسن الثانى لك محسن ، فاهزأ بقوله ، واضحك منه ملء شدقيك ، ثم استفت قلبك

إنى أومن بالذوق ، ولكننى بجانب ذلك لا أجحد أن الأذواق تختلف ، وأن منها الفاسد الذى لا يصلح للحكم ، بيد أن الذوق على ما به من هنات لا يزال فى نظرى أصلح المعايير التى يقاس بها الشعر ، فينبغى أن نعول عليه ، وعليه وحده ، حتى نهتدى إلى مقياس محسوس تقاس به المعنويات ، كما تقاس الحبوب بالقدح والصاع ، والأطوال بالباع والذراع

« كوم حماده » محمود غنيم

في سبيل الإصلاح

داء الشباب!

« الخوف من الكلام في هذا الداء هو الذي أوقعنا فيه »

للأستاذ علي الطنطاوي

... وهل داء الشباب إلا الميل الجنسي الذي يملأ نفوسهم، ويسيطر على أرواحهم، ويتراءي لهم في كل جيل في الكون، شيطاناً لعيناً يقود إلي الهاوية وإبليساً من أبالسة الرذيلة، يدعو إلى دين الهوى، وشرع الشهوات، ويحدر عقل من يستجيب له فينزل به من مكانه في الرأس إلى غير مكانه، ويجعل صاحبه عبداً للجسم، مؤتماً بالشيطان؟

وهل يأتي ممن كان إمامه إبليس، وشرعه هواه، إلا قطٌّ في شهر شباط [1]. بل ما يبلغ والله أن يكونه، فان القط تشغله الشهوة شهراً في العام، وسائر أيامه للصيد والوثب والسعي للرزق وما خلق الله له القطط، وعبد الشهوة من الناس تتعبده الشهوة في كل حين... وللقط طريق واحد إلى بلوغ شهوته هو (الطريق) الذي (شقه) الله لبقاء الجنس، تبعاً للسنة التي سنها، أما عبيد الشهوة من البشر فلهم مائة طريق. تسعة وتسعون منها تخالف سنة الله، وقوانين الحياة، وتأباها العجماوات، ويترفع عنها الحمير، ولا يرتضيها لنفسه (صاحب اللعنات) ابليس... والقط في شهر الشهوة، لا ينسى قطيطته ولا يدع صيد الفار، ولا السعي للعيش، والرجل إذا تعبده الشهوة ينسى إنسانيته، ويهمل الواجب عليه، ويقعد عن المشي في مناكب الأرض في طلب الرزق، بل لقد تبلغ به السفاهة والجهالة أن يفرّ من الحياة منتحراً جباناً ذليلاً، لأن... لأن امرأة لم تعطه من نفسها الذي يريد، ولو عقل عقل القط لتركها إلى غيرها، وليس يبالي القط مادام قد قام بقسطه من حفظ النسل، أكانت صاحبته بيضاء مبرقشة أو سوداء حالكة، ولم نعهد قطاً قطع نفسه بأسنانه، أو ألقى بها في البركة، حزناً على حبيبته القطة. والقط (بعد ذلك) يبقى عزيزاً، يطارد القطة مرفوع الرأس، مشدود العضل، بادي القوة، والرجل إذا استعبدته الشهوة يصبح ذليلاً حقيراً، كافراً بالرجولة. فيهمل دروسه إذا كان طالباً لأن صاحبته (أو شيطانته) لم تدع له وقتاً ولا عقلاً للدرس؛ وإذا كان موظفاً أنسته ذكراها أمانة العمل، وحرمة المصلحة، وواجب الشرف، وقدسية العدل؛ وإذا كانت صاحبة سره في تجارته نسي التجارة، وأضاع الأمانة والربح، وأهمل السعي والعمل... فلا يكون من وراء الشهوة إلا ذل النفس، وموت الشرف، والضعة والتسفل: المعلم سيد تلميذته، والمدير أمير سكرتيرته، والطالب عزيز حيال رفيقته، فاذا جاءت الشهوة، ذل المعلم فكان هو التلميذ وهي السيدة، وذل المدير فكان هو الأجير وهي الآمرة، وذل الطالب فكان من رفيقته بمثابة كلبها... يتبعها ويبصبص لها!

أو ليس من الذل أن تكون حياتك معلقة بغيرك، وسعادتك بيد سواك، فأنت مضطر إليه، وأنت لعبة في يديه، إن أقبل عليك سعدت، وإن أعرض شقيت، وإن مال إلى غيرك اسودت أيامك، وتمنيت الموت؟

هذا والله الذل الذي لا ينفع معه المال الكثير، ولا الجاه العريض، ولا... « ملك انكلترا وتوابعها... »، وهذه هي حقيقة الحب، الحب الذي ألهه الشعراء!

* * *

على أن الحب في الأصل جيل مقدس، وعلى الحب قام الوجود كله وائتلف وسار إلى غايته، والشهوة نافعة لازمة لم تخلق عبثاً، ولا أداة للشر، بل خلقت حياة للجنس وعصمة من أن يمحى أو ينقرض، ولسنا نحقر الحب ولا نذم الشهوة، وإنما نذم الغلو فيهما، وولوجهما من غير بابهما، وأخذهما على غير الوجه الذي خلقه الله لها... نذم منطق الشهوة، والشهوة منطقها الذي يسلب الدين دينه والحكيم لبّه، ويريه أن له الحق في كل النساء، وأنه لم تخلق امرأة إلا للذته (هو) ومتعته، ويصنع له إبليس أدلة هذه الدعوي فيقبلها بعقله الذي انحدر من رأسه، ويتلقاها بأعصابه الهائجة المجنونة، ثم يدله إبليس على سبيل تحقيقها، فيسلكها لا يبالي الدين ولا العرف ولا المروءة ولا شيئاً مما تواضع

(١) أي فبراير... أفليس من العجب أن عرب مصر لا يفهمون اسم الشهر حتى يترجم لهم إلى لغة الانكليز؟

(الرسالة) كان العرب يعرفون الشهور بأسمائها الافرنجية وقد سردها صاحب العقد الفريد فيما سرد من سائر الأسماء

على إجلاله الناس ويتم إبليس عمله ؛ فيدخل فى رءوس نفر من الأدباء ، ثم ينطق بلسانهم ، ويخط أقلامهم ، هذا الأدب الوقح البذىء ، أدب أبى نواس من الأولين ، وآباء نواس من المصريين ، الأدب الذى يستقر فى أدمغة الشباب استقرار صناديق البارود فى أصول البيوت ، فلا يلبث أن يتفجر عند الشرارة الأولى ، تخرج من عين امرأة ، فينسف عقل صاحبه ودينه ، وأخلاق الأمة وصبيانها ، ويقطع نسلها ويؤلف (المشكلة الكبرى) التى عرضنا من أسابيع إلى وصفها ... ولا نعدم مع ذلك من الناس من يعجب بهذا الأدب ويكبره ويسمى صاحبه بأسماء الجهابذة الاعلام من أرباب البيان وحملة الاقلام ...

وهل فى الأدب المكشوف ، إلا كشف سوأة من سوءات الفكر ، وعورة من عورات الضمائر ، يحرص العقلاء على سترها كما يسترون عورات الجسم ؟

أستغفر الله ما ذا أقول إن الناس قد كشفوا عورات الجسم على السواحل وفى المصايف ، وأبدوا كل سوأة ، وافتخروا بها ، وسموها جمالاً وكمالا ، وصوروها وملأوا بها جرائدهم ومجلاتهم ، أفيلام الشاب إن جن جنونه ، واشتعلت فى أعصابه النيران ؟

أخطبوا أيها المدرسون ما وسعكم الجهد ، واهرقوا ما انفسح لكم سبيل الهراء ، وقولوا للشاب كن صيناً عفيفاً . إنها لن تجدى عليه خطبكم ، ولا يستقر فى نفسه هراؤكم ؛ إنه يخرج فيسمع إبليس يخطب بلغة الطبيعة الثائرة فى السوق على لسان (حال) المرأة المتبرجة ، وفى الساحل على لسان الأجساد العارية المغرية ، وفى السينما على لسان المناظر المتهتكة المثيرة ، وفى المكتبة على لسان الجرائد المصورة والروايات الخليعة الماجنة ، وفى المدرسة على لسان أصحابه الفساق المستهترين ... ولسان المدرسين حين يدرسون شعر أبى نواس القرود رسمياً فى المنهج !

إن الشاب تتعبده الشهوة فيخضع لها ، لأن سهامها تنصب عليه من كل جانب ، فلا يطيق أن يتقيها ، فيصورها له خياله عالماً مسحوراً عجيباً ، وجنة فينانة غريبة ، فيتمنى دخولها ، فلا يجد من دونها حجاباً ، بل يجد من يسوقه إليها ، ويحفزه عليها ، فلا يخرج منها أبداً ، ولا عليه إن ماتت الأمة أو عاشت ، فهل فكر أحد من أطباء الأخلاق فى هذا الداء ؟

بناء الأخلاق ينهار ، وسوق الزواج يبور ، ونسل الأمة ينقطع ، والمخازى والرذائل تنم وتنتشر ، والقادة والمصلحون وأرباب الأمر يرون ذلك كله ، فلا يبالونه ولا يفكرون فيه ، ولا يفتشون له عن علاج ... مع أن العلاج هين ميسور والعقاقير دانية قريبة ، لاينقصها إلايد تمتد إليها فتأخذها لتجرعها المريض وأين تلك اليد ؟

* * *

إن الله الذى وضع الشهوة فى النفوس جعل دواءها الزواج ، فاذا تعذر الزواج فهنالك طرق للوقاية من الفاحشة ، وهنالك أسدود دونها والحجب : هنالك الدين ، فاذا علمتم الشاب دينه ، وعرفتموه ربه ، ونشأتموه على التوحيد الخالص ، والإيمان الصحيح حتى يعلم أن الله مطلع عليه ، لاستحيا من الله أن يأتى الفاحشة بسمعه وبصره ، كما يستحى أن يأتيها على مشهد من أبيه الذى يجله ، أو أستاذه الذى يحترمه ، ويعلم أن من حق الله عليه ، وقد أعطاه هذه الأعضاء وأنعم بها عليه ألا يستعملها إلا فى طاعته ... هذا أول سلاح تدرأ به المعصية ، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » أى لا يستطيع أن يزنى وهو مؤمن أن الله مطلع عليه ، ناظر إليه ، ولمنعه الحياء من الله إن لم يمنعه الخوف من العقاب

وهنالك الشرف ، فاذا ربيتم الشاب عليه ، وجعلتموه يحس به ويقدره قدره ، وأفهمتموه معنى المروءة وقيمة العرض ، لمنعه من الفاحشة ما كان يمنع الجاهلى الشريف ، من أن ينظر إلى جارته حتى يوارى جارته مأواها

وهنالك الصحة ، فلو عودتموه الرياضة ، وعرفتموه قيمتها ، وأنبأتموه أن الله جعل مع العفاف الصحة والسلامة ، ومع الفاحشة الضعف والمرض والمصائب السود لاقتصد فى اتباع الشهوة ، إن لم يكف عنها ، ولم ينظر إليها إلا من سبيلها ، وسبيلها الزواج

وهنالك طيب السمعة ، وحسن الذكر فى الناس ، وهنالك الكثير من الأسلحة والحجب

* * *

والسلاح كله فى يد وزارة المعارف وآباء الفتيات

أما وزارة المعارف ، فتستطيع أن تعنى بالأخلاق العامة ،

فتبذل جهدها فى مراقبة الجرائد والمجلات والروايات ، وتبث الوعاظ ينشرون فى الناس الفضيلة ويرغبونهم عن التهتك والعرى

وتستطيع قبل ذلك كله أن تهتم بأخلاق التلاميذ ، فتوكل بهم من يفهمهم (قبل سن البلوغ) حقائق الحياة الجنسية بأسلوب علمى يضرب فيه المدرس المثل بتلاقح الأزهار ، واجتماع الحشرات والطيور ، ويبين لهم بشاعة الفاحشة على مقدار ما يتسع له القول وأضرار (العادات السرية السيئة) ويكون حكيما فى بيانه، فلرب بيان مثل هذا ، يخلو من الحكمة ، فيقود إلى الرذيلة بدلا من أن يصرف عنها

وتستطيع وزارة المعارف أن تعلى من شأن درس الدين ، وتختار له من المدرسين من يكون قدوة فى سمته وخلقه وسيرته ، فان المدرس يفعل بسيرته فى نفوس الطلاب ما لا يفعل بمحاضراته وتدخل هذا الدرس في الفحوص والامتحانات العامة ، وتجعل الطلاب (يرسبون) إذا قصروا فيه ، لأن الطلاب لا يمكن أن يعنوا بدرس لا (يرسبون) إن قصروا فيه

وتستطيع وزارة المعارف أن تلزم المدرسين بأن يكونوا مثالاً كاملاً للاستقامة والعفة والمروءة ، وأن يكونوا قدوة للطلاب صالحة ، فانا قد رأينا من ليس كذلك ، ورأينا من يصحب طلابه إلى دور الفحشاء !

وتستطيع وزارة المعارف أن تضع القوانين الصارمة لحماية عفاف الطلاب من أنفسهم ومن غيرهم ...

أما آباء الفتيات الذين لا يزوجوهن إلا بيعاً ، فهم رأس البلاء ، ولكنه لا ينفع معهم الكلام

* * *

أما أنتم يا إخوتى الذين يقرأون هذا الفصل من الشباب ، فانى أنصح لكم (وأنا شاب مثلكم) ، بأن تصرفوا ميولكم إلى جهة علوية ، فان الميل كالبخار المتصعِّد من القدر قد يجد سبيله فيدير الآلة ، ويسيّر القاطرة، وقد يحتبس فتنفجر به القدر ، وقد يسيل على الأرض هدراً ، فأنا لا أحب أن تسيل ميولكم هدراً ، ولا أن تضيق بها نفوسكم حتى تنفجر ، بل أحب أن تتساموا بها فتسوقوها في طريق الفن والإبداع

إن من يفكر فى المرأة ، ويزداد به الشوق إليها ، ولا يجدها زوجة لأن الآباء يضنون ببناتهم حليلات ويبذلونهن للناس خليلات ، يستطيع أن يصب شوقه فى القطعة من الشعر أو القصة من القصص ، أو أن يصور شوقه نغمة جديدة ، أو صورة بارعة يشعر إذا صنعها بمثل ما يشعر به من بلغ — ما كان يريد — ويجد الاطمئنان ، ويمشى فى طريق النبوغ

وإن الشباب إذا دأب على المطالعة والبحث ، ورغب فى التفوق على رفاقه فى المدرسة ، أو الفوز على خصومه فى الجرى أو الملاكمة ، أو استغرق فى تجارة فشغلته ، أو صناعة فملأت حياته لا يجد فى نفسه بقية للشهوة ، إنما تستعبد الشهوة من كان فارغ الرأس واليد والوقت

إن الشباب والفراغ والجدة   مفسدة للمرء أى مفسدة !

* * *

وبعد فهذا داء عضال فتاك ، فأين أطباؤه ، وأين من يتنبه إليه ؟ أين الكتاب الباحثون فيه ؟ أين أولو الأمر المَعْنيُّون به ؟ أين الغُيُر على الدين والأخلاق ؟ ألم يبق منهم أحد ؟ !

« بغداد — المدرسة الغربية »   على الطنطاوى

كتاب المبشرين

من أغلاطه في العربية

لأستاذ جليل

— ٦ —

٢٠ — فى الصفحة (٧٠) : أما الكنيسة الغربية فقد كان فيها من تهالك داماسوس وأورسكينوس فى الشاحة على منصب الأسقفية ما أفضى إلى ...

قلت : فى القول : (من تهالكهما فى الشاحة على منصب كذا) — حذلقة بل عسلطة؛ ولو قيل : كان فيامن تهالكهما على منصب كذا لاستقام الكلام ؛ فتهالك على كذا اشتد حرصه عليه ، والشاحّة التى أقحمت هذا الاقحام ، معناها الضنة ، والإحكام يقضى فى هذا المقام (التشاحّ) — إن أريد ذلك — لا الشاحة ، فى الصحاح : فلان يشاح[1] على فلان أى يضن به . وفى اللسان والتاج : تشاحا على الأمر تنازعاه لا يريد كل واحد منهما أن يفوته وتشاح القوم فى الأمر؛ وعليه شح به بعضهم على بعض وتبادروا إليه حذر فوته وتشاح الخصمان فى الجدل كذلك

٢١ — فى الصفحة (٧٠) : أسقفية رومة

قلت : فى كتب التاريخ والأدب واللغة وغيرها (روميّة) لا رومة ، وهما روميتان إحداهما — كما قال ياقوت — بالروم ، والثانية بالدائن[2] . وفى معجم البلدان : « وروميه من عجائب الدنيا بناء وعظما وكثرة خلق ، وهى اليوم بيد الافرنج وملكها يقال له : ملك ألمان ، وبها يسكن البابا التى تطيعه الفرنجية ، وهولهم بمنزلة الامام متى خالفه أحد منهم كان عندهم عاصياً يستحق النفى والقتل ، يحرم عليهم نساءهم وغسلهم وأكلهم وشربهم فلا يمكن أحدا منهم مخالفته » وفى شعر القيسرانى فى نور الدين

(١) فى الكليات فى تفسير قولهم : (لامشاحة فى الاصطلاح) : يقال لا مشاحة فى الاصطلاح أى لا مضايقة فيه بل لكل أحد أن يصطلح على ما يشاء إلا أن رعاية الموافقة فى الأمور المشهورة بين الجمهور أولى وأحب

(٢) الدائن : مدينة كسرى قرب بغداد سميت لكبرها وبها إيوانه ، وقيل : هي عدة مدن متقاربة ، وفيها قبر سلمان (رضوان الله عليه)

(رضى الله عنه) : « فؤاد رومية الكبرى لها يجب » وأما رومة فقرية بطبرية كما فى القاموس وفي اللسان موضع بالسريانية . ورومة أرض بالمدينة وفيها بئر رومة كما قال ياقوت وفى كتابه : « وفى الحديث : لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء ، وكان لرجل من بنى غفار بئر يقال لها بئر رومة ، وكان يبيع ... القربة بمُدّ فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعنيها بعين فى الجنه ، فقال : يا رسول الله ، ليس لى ولعيالى غيرها لا أستطيع ذلك . فبلغ ذلك عثمان (رضوان الله عليه) فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم[1] »

٢٢ — فى الصفحة (٧٠) : فيخرج (... أسقف رومية) فى المواكب والأبهة بالمركبات والحفات مسرفا فى ترك العيش ولا إسراف الملوك

قلت : أرادوا أن إسراف الأسقف يزيد على إسراف الملوك فجاء مقصودهم معكوسا . وكان ابن الحريرى قد قال فى (الدمياطية) غدوت قبل استقلال الركاب، ولا اغتداء الغراب. فقال احمد الشريشى أي ولا مثل اغتدائه، فحذف مثل المنصوبة بلا وأقام اغتداء مقامها لأن (لا) لا تنصب المعارف ، أراد أن اغتدائى قبل أن يغتدى الغراب ، والغراب أكثر الطير بكورا ، وهذا إذا طلبت حقيقة معناه صار المشبه أقوى من المشبه به ، تقول العرب : فتى ولا كمالك ، يريدون أن مالكا أفضل من الفتى ، ومثله مرعى ولا كالسعدان وماء ولا كصداء[2] ، فهذا مذهب العرب فى ذكر (ولا) بين الشبهين ، وكلام العرب فلان أبكر من الغراب لا الغراب أبكر من فلان ولا فائدة فى ذلك فاذا حققت لفظة (ولا) فى تشبيه الحريرى على ما يجب لها فى كلام العرب انقلب المعنى . ويستعمل أهل فاس فى مغربنا لفظة (ولا) فى تشبيهاتهم على حد استعمال الحريرى ، ولا يستعملها أهل الأندلس[3]

٢٣ — فى الصفحة (٣٢٣) يحترزون عن التشبيه غاية الاحتراز

(١) وسبلها . والحديث خرجه الفضائلى . وقد رواه المحب الطبرى فى (الرياض النضرة) وذكر فى كتابه أنها كانت ليهودى فاشتراها ذو النورين

(٢) ثلاثة امثال اوردها الميدانى وشرحها ، وذكرها ابو الحسن الاخفش فى حواشى الكامل وقال : تضرب هذه الامثال للشىء الذى فيه فضل وغيره افضل منه

(٣) ابن خلدون فى ... الأول : ... وأهل الاندلس اقرب منهم إلى تحصيل هذه الملكة بكثرة معاناتهم وامتلائهم من المحفوظات اللغوية نظما ونثرا

قلت : احترز وتحرز إنما يعديان بمن لا بعن، ففي أقوال العرب وكتب اللغة[1] : احترز منه وتحرز أي تحفظ وتوقى كأنه جعل نفسه في حرز منه . ولم يجيء في كلام عربي مثل هـذا القول : احترز غاية الاحتراز بنيابة غاية عن المصدر ، ولم يذكره نحويون متقدمون ولا زاد هذا النائب أو النائبة .. متأخرون

٢٤ — في الصفحة (٢٤٦) : فالنصارى قد حرم عليهم دينهم السكر والزنى وفيهم مع ذلك من يباهي بارتكاب الفاحشة ومن يفتخر بادمان السكر [2]

قلت : لم يقصد كتابهم بقوله يباهي . . . المفاخرة بل قصد الافتخار كما قال من بعد : ومن يفتخر ... والصواب يتباهى بكذا أو يبتهي به ؛ ففي الأساس: وأنا أتباهى به، ولي به افتخار وابتهاء قال أبو النجم :

ليس المحاذر أن يعد قديمه والمبتهي بقديمه — بسواء

وفي اللسان والتاج : العرب تقول : إن هذا لبهياي أي مما أتباهى به [3]

٢٥ — في الصفحة (٣٨٦) : وتمرن سائرهم[4] في حمل السلاح

قلت : في اللغة مرّن وتمرن على الشيء لا تمرن فيه . قال الامام الجاحظ[5]: أية جارحة منعتها الحركة ولم تمرنها على الأعمال أصابها من التعقد على حسب ذلك المنع . وفي الصحاح : مرن على الشيء مروناً ومرانة تعوده واستمر عليه ، وفي الأساس : من المجاز مرنت يده على العمل ، ومُرّن وجهه على الخصام والسؤال وفي المخصص : مرّنت فلاناً على الأمر . ومثل ذلك في الجمهرة واللسان والمصباح والقاموس وشرحه ، وأقوال العرب

٢٦ — في الصفحة (١٢٨) : كان الله يستأنف بلطفه إعلانه للناس على لسان أنبياء متمددين[1]

قلت : لا يعد من الكلام (على لسان أنبياء متمددين) قال الأساس : بنو فلان يتمددون على بني فلان أي يزيدون عليهم ، وفي اللسان ، قيل : يتمددون عليه يزيدون عليه في العدد ويتعادون إذا اشتركوا فيما يعادّ به بعضهم بعضاً من المكارم ، وفي الصحاح : وإنهم ليعادون ويتمددون على عشرة آلاف أي يزيدون على ذلك في العدد

٢٧ — في الصفحة (٣٨٥) : وهم عدد قليل في قبائل العرب العديدة [2]

قلت : العديدة الحصة — كما في اللسان — والعديد الكثرة ، والعديد العدد ، والعديد النـد والقرن ، والعديد الرجل يدخل نفسه في قبيلة ليعد منها وليس له فيها عشيرة ، وهو في عديد بني فلان أي يعد فيهم

فعديدة القوم مثل متعدديهم ...

٢٨ — في الصفحة (٩١) : وأفرغ جهده في كف محمد عن التمادي بالأمر

قلت : تمادى هو في الأمر ، وتمادى به الأمر ، قال المتنبي :

إلى كم ذا التخلف والتواني وكم هذا التمادي في التمادي[3]
وشغل النفس عن طلب المعالي ببيع الشعر في سوق الكساد

وفي اللسان : وتمادي فلان في غيه إذا لج فيـه وأطال مدى غيه أي غايته . وفي النهاية : ومنه حديث كعب بن مالك فلم يزل ذلك يتمادى بي أي يتطاول ويتأخر

٢٩ — في الصفحة (٢١٦) : لم يكن للتبالة من الأهمية عندهم ما صار لها بعد ذلك . وجاءت الأهمية في الصفحة (٢٨٠)

قلت : أرادوا أن يقولوا : من المنزلة أو القدر أو الخطر أو الشأن فقالوا (الأهمية) وهي لفظة منكرة عامية أوجردية لم تعرفها العربية في وقت وهي منسوبة إلى الأهم ، وهو اسم تفضيل من هم ،

(١) الصحاح ، الأساس ، اللسان ، التاج

(٢) يقال : أدمن الأمر وأدمن عليـه : واظب كما في الأساس فهذا الفعل يتعدى بنفسه وبالجار لا كما قال اليازجي في الضياء (١) الصفحة ٤١٩) والصواب ترك الجار لأن هذا الحرف يتعدى بنفسه

(٣) في نجعة الرائد لليازجي : يقال : فخر الرجل بكذا وافتخر وتباهى

(٤) في الدرة : فمن أوهامهم الفاضحة وأغلاطهم الواضحة أنهم يقولون قدم سائر الحاج واستوفى سائر الخراج فيستعملون سائراً بمعنى الجميع وهي في كلام العرب بمعنى الباقي ، في كل باق قل أو كثر . وفي النهاية : والناس يستعملون سائراً بمعنى الجميع وليس بصحيح وقد تكررت هذه اللفظة في الحـديث وكلها بمعنى باقي الشيء ، وفي الدرة وشرحها وفي التاج كلام كثير في هذه اللفظة ، وفي مجمع الأمثال : نزل رجل جائع بقوم فأمروا الجارية بتطييبه ، فقال : بطني عطري ، وسائري ذري ...

(٥) أبو هلال العسكري في كتابه ديوان المعاني : أخبرني بعض أصحابنا قال: ناطقت فتى من بعض أهل القرى فوجدته فتيق اللسان ، فقلت له : من أين لك هذه الذلاقة ؟ قال : كنت أعمد كل يوم إلى خمسين ورقة من كتب الجاحظ فأقرأها برفع صوت ، فلم أجر على ذلك مدة حتى صرت إلى ما ترى

(١) ومثل ذلك في الصفحات ١٥ ، ١٦٥ ، ٢٦٣ ، ٢٩٣ ، ٣٣٦

(٢) ومثل ذلك في الصفحتين ١٢٧ ، ٤٢١

(٣) العكبري : أي إلى كم أبلغ المدى في التقصير ، يستبطئ نفسه فيما يروم

وهو فى الحقيقة للفعل (أهم)[1] إذ ليس في اللغة همه الأمر بالمعنى الذى يعرف لأهمه وإن قالت كتب فيها وهمّ كأهم ، وفى كلامهم الأمر المهم ، ولم يقل جاهلى أو مخضرم أو إسلامى أو مولد متقدم أو مولد متأخر : الأمر الهـام كما تقول العوام وفى مفردات الراغب : وأهمنى كذا حملنى على أن أهتم به قال الله تعالى : وطائفة قد أهمتهم أنفسهم .

وفى الأغانى فى سيرة أعشى همدان : فلم يبق أحد في المجلس إلا أهمته نفسه وارتعدت فرائصه . وفى الصحاح : الأمر المهم الشديد . وفى الأساس : ونزل به مهم ومهمات . وقال عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر لعبد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد :

أبى دهرنا اسعافنا فى نفوسنا وأسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له : نعماك فيهم أتمها ودع أمرنا ، إن المهم المقدم[2]

فقولهم : فلان ذو أهمية ، وكان لزيد عند قومه أهمية ، ولم تكن لكذا أهمية — من الكلام المعتل

٣٠ — فى الصفحة (٦٩) . يتعنت بها كل من المتناظرين على الآخر

قلت : فى اللغة تعنته أى طلب زلته لا تعنت عليه . قال الأساس : وتعنتنى : سألني عن شيء أراد به اللبس على والمشقة . وفى النهـاية فى حديث عمر م أردت أن تعنتنى أى تطلب عنتى وتسقطنى . وقالوا : أعنت عليه أمره أدخل الضرر عليه فيه . وفى النهاية : فيعنتوا عليكم دينكم أى يدخلوا الضرر عليكم فى دينكم . وقد قالت معجمات عصرية : وربما عدى تعنت بعلى ، وهذه التعدية غير محققة .

ومن أقوالهم فى النهى عن تعنت العلماء — والقول فى العقد —

إذا جلست إلى العالم فسل تفقها ولا تسل تعنتا

٣١ — فى الصفحة (٤٣٨) : فاشطرت هذه الشريفة أن تتزوج بالغلام ريثما يتهيأ للمولى أن ينكحها، فلما تهيأ له ذلك أظهر

قلت : ريثما فى هذا الكلام للحين الطويل كما تدل القصة فى كتابهم على ذلك ، وهو فى العربية للمدة القصيرة ، وأصله مصدر أجرى ظرفا[1] ، وأكثر ما يستعمل مستثنى فى قول منفى . ومن الأدلة على قصر المدة لهذا الحرف قول الشنفرى (أو خلف الأحمر) فى لامية العرب :

ولكن نفسا مرة لاتقيم بى على الذأم إلا ريثما أتحول

وقول أعشى باهلة فى رثاء المنتشر :

لا يُصعب الأمرَ إلا ريث يركبه
وكل أمر سوى الفحشاء يأتمر[2]

وقول بعضهم :

ولى نفس حر لا تقيم بمنزل على الضيم إلا ريثما أتحول

وفى النهاية : فلم يلبث إلا ريثما قلت أى إلا قدر ذلك . وفى اللسان : عن الكسائى والأصمعى : ماقعدت عنده إلا ريث أعقد شسعى . ويقال : ما قعد فلان عندنا إلا ريث أن حدثنا بحديث، ثم مر أى ما قعد إلا قدر ذلك ، ومثله فى التاج وفى المصباح : ووقف ريثما صلينا أى قدرما . وفى المقامات الحريرية فى الصنعانية : فأمهلته ريثما خلع نعليه وغسل رجليه . وفى النجرانية : فأمسك ريثما يعقد شسع ، أو يشد نسع

للكلام بقية — الاسكندرية (***)

---

(١) وقد يكون بناؤه من هذا الفعل فى شرح الكافية : وعند سيبويه هو قياس من باب أفعل مع كونه ذا زيادة ويؤيده كثرة السماع كقولهم : هو أعطاهم للدينار وأولاهم للمعروف وأنت أكرم لى من فلان وهو كثير ويجوزه قلة التغيير لأنك تحذف منه الهمزة وترده إلى الثلاثى ثم تبنى من أفعل التفضيل فتخالف همزة التفضيل همزة الأفعال وهو عند غيره سماعى مع كثرته

(٢) رواها ابن رشيق فى العمدة وابن خلكان فى الوفيات . وفيهما الادماج وهو نوع من الاستطراد

(١) قال الرضى : وأما إضافة ريث إلى الجملة نحو توقف ريث أخرج إليك فلكونه مصدرا بمعنى البطء مقاما مقام الزمان المضاف، والأصل زمان ريث خروجى أى مدة أن يبطىء خروجى حتى يدخل فى الوجود

(٢) يجوز استعمال ريثما بغير ما ولا إن كما فى البيت والأمر فى طبعة اللسان بضم الراء والصواب فتحها

من رحلة الشتاء

فى مضارب شمر

المشاريع الإصلاحية فى البادية

للآنسة زينب الحكيم

١ — بدأ الشيخ عجيل الياور شيخ مشايخ شمر منذ سنة ١٩٣٠ يستعمل نفوذه ليوطن البدو التابعين له فى قرى ، يطالب بأرضها لهم من الحكومة العراقية بحيث تكون وجهتهم احتراف الفلاحة ؛ وقد تمت هذه الصفقات لبعضهم فعلا ، وشجعهم الشيخ الياور بشراء بعض الآلات الزراعية من ماله الخاص ، مثل المحاريث التى استجلبها من ألمانيا عند ما زارها فى أثناء زيارته الأخيرة لأوربا

كذلك ساعدهم بشراء بعض المواشى ، وبذور النبات ، وغرضه من هذا كله أن يسهل لهم احتراف الفلاحة وتحبيبها إليهم . على أنى علمت أن هذه التجربة لم تسفر عن نجاح يوازى ما بذل من مساعدات وتشجيع . إذ وجد الشيخ أنه من العسير جداً استقرار البدو — ومن يستطيع أن يحد من حريتهم ؟! — ومع هذا استقر كثير من رؤساء العشائر فى بعض القرى التى كونوها

ولعله لا يخفى على فطنة القارئ أنه وإن كان ملك البادية يعطف على البدو من رعاياه ، ويعطى لهم باليمين ، فانه يأخذ منهم باليسار أتاوات وجعولا على محاصيلهم وأغنامهم وجمالهم وغيرها . وهذا السبب عينه مما ينفر البدو فى الاستيطان لكراهيتهم الخضوع للضرائب والتجنيد وما شابه ذلك

٢ — مدرسة ابتدائية

مما أثلج صدرى حقيقة ، وجود مدرسة ابتدائية فى وسط البادية . تأسست هذه المدرسة سنة ١٩٣٢ ، وبدأت أهلية حيث أنشأها الشيخ عجيل الياور على نفقته ، وبدأت بعدد قليل من الأولاد ، ولكنه عظيم بالنسبة لعوامل البيئة هناك . فافتتحت بخمسة وعشرين إلى ثلاثين ولداً من أبناء البدو ، ومن بينهم أولاد شيخ المشايخ بالضرورة ، يذهبون جميعاً لتلقى الدروس بالأمر المشدد من الشيخ وأمره مطاع ، وإن خالف ذلك ميولهم الخاصة . وشجع الشيخ هؤلاء بمنحهم السكن والملابس

سارت المدرسة فى سبيل التقدم ، وسعى الشيخ لأن تدخل تحت إشراف الحكومة العراقية حتى تفوز بمنهج منظم ، وأساتذة فنيين ، وفعلا فى سنة ١٩٣٤ أى بعد سنتين من إنشائها ، صارت مدرسة حكومية تمدها وزارة المعارف العراقية بالمعلمين والأدوات المدرسية من حيث الأثاث (وهو عبارة عن خيام بيضاء كبيرة ، ومناضد ومقاعد لجلوس الأولاد ، وسبورات مع حواملها) . أما أدوات الطلاب فلا تزال على نفقة الشيخ

وصار عدد تلامذتها الآن من ٥٠ إلى ٨٠ تلميذاً ، يتناقص أو يتزايد العدد بين هذين الرقمين بالنسبة لتنقل العشائر المرعى



الشيخ عجيل الياور ، شيخ مشايخ شمر فى الوسط ، وفى طرف الصورة إلى اليسار ابنه الشيخ صفوك الياور ، وفى طرف الصورة الأيمن ، المدرس الأول بالمدرسة الابتدائية

ويوجد بين الأولاد بعض البنات ، وبالمدرسة ستة صفوف (أو فصول) وتتراوح أعمار التلاميذ بين ست ، وست عشرة . (وقيل لى : أحياناً يأتى إلى المدرسة أطفال فى سن الرابعة أو الخامسة)

ويدرس بها على منهاج المدارس الابتدائية العراقية ، واللغة الانجليزية هى اللغة الأجنبية التى يتعلمها التلاميذ ابتداء من الصف الخامس ، ويستمر تعليمها فى السادس

زرت هذه المدرسة فى خيامها البديعة ، وكان حادثاً فى حياة الأولاد ونجاريهم أن يروا سائحة مصرية ، فلحظت أنه بقدر

سرورهم بهذه المفاجأة ، كانت دهشتهم من سفر سيدة تلك المسافات البعيدة حتى وصلت إليهم . وكان شغفهم زائداً لسؤالهم إياى أسئلة شتى ، كما بدا لى على وجوههم ، ولكن كيف يجرؤون على مخاطبة سيدة !

كانت الدروس التى حضرتها فى مختلف الفرق متنوعة ، وكان أول درس حضرته:

(ا) درس حساب ، فبعد أن انتهى الأولاد من حل تمرين أعطى لهم فى دفاترهم ، وبعد تصحيحه أيضاً ، حبب إلىّ أن أعطيهم بعض التمارين العقلية ، فأدهشنى توقد ذكائهم ونشاطهم الع[illegible] وفى أثناء ذلك فاجأت التلاميذ باختبار ذكاء بسيط ، فقلت : تعلمون شيئاً من الموازين مثل الرطل والأقة مثلاً ؟ فقالوا: نعم . قلت : وأيهما أكثر ربحاً للشارى ، أرطل من البندق مقشور أم رطل بدون قشره ؟ فرفعوا أيديهم . وسألت أحدهم واتفق أنه خلط فى الاجابة ، فلم يرض باقى التلاميذ عن هذه الاجابة ؛ ولكنهم نظاميون جداً ، فلا يجاوبون بدون إذن . وفاجأنى تلميذ صغير من بينهم قبل أن أسأل غيره، بالسؤال الآتى:

من فضلك، أيهما أكثر عدداً ٢ + ٢ أو ٢ × ٢؟ قلت: لعلى لا أعرف ذلك، فلنسأل باقى التلاميذ. فقال: لا، هذه بتلك. فضحكت وسررت من جرأة البدوى العجيب ، ولمست سمات الانتصار على محيا زملائه

وهل يرضى البدوى بالهزيمة ولو كان فى ذلك حتفه ؟!

هنا أريد أن أوجه نظر القارئ الكريم إلى أن مشروع اختبار الذكاء أو غيره من الحركات الحديثة في التربية ، ليست مقصورة على عقل واحد أو جماعة واحدة ، وليست من اختصاص أمة دون أخرى

إن لكل أمة مقاييسها ، ولولم يكن لدى هؤلاء البدو مقاييس ذكاء خاصة يعرفونها ويفهمونها فيما بينهم لما عاملنى هذا البدوى وزملاؤه من نوع عملى وجملوها (دقة بدقة)

(ب) كان ثانى درس رأيته درس جغرافيا . دخلت الفصل وحييت التلاميذ ، وكانوا أكبر سناً من الفرقة التى رأيتها وجدت خريطة كبيرة للقطر المصرى معلقة على السبورة ، وبدأ الأستاذ يناقش تلاميذه فى معلوماتهم عن بلادى ، فكان حسن ذوق ومجاملة لطيفة ، وانتهزت الفرصة وقلت : ربما لم يسبق لكم يا تلاميذ رؤية مصرية قبلى ؟! فقالوا : لا ، ونحن سعداء برؤيتك . فشكرتهم ، وقلت : أو كنتم تتخيلون المرأة المصرية كما رأيتم الآن ؟ قالوا : لا ، كنا ننتظر رؤيتها فى ثياب سوداء ، فإن من العيب أن تلبس المرأة الثياب الملونة ، ولا سيما ما كان منها أبيض . قلت : لماذا ؟ فقالوا : إن اللون الأبيض من شمات الرجل ، أما المرأة فلها الثياب السود . (لم أستطع الوصول إلى التعليل المنطقى منهم لهذا التخصيص ، ولعلها مجرد عادة نشأت من الاقتصاد فى الغسيل لقلة الماء والصابون فى الصحراء)



للمدرسة الابتدائية بمضارب عجيل الياور فى الجزيرة قرب سنجار

قلت: وهل تريدون أن تسألونى شيئاً عن مصر؟ قالوا بشوق: نعم . كيف حال فاروق الملك الشاب ؟ وهل هو تقى ؟ وهل هو يشبه سيدنا غازى الأول ؟ وهل فرح بالزفاف الملكى ؟ (قد وصلتهم أخبار الزفاف كلها وسمعوا حفلاته بالمذياع ملك شيخهم)

أجبتهم عن كل أسئلتهم ، وقد أصغوا إليها فى شوق زائد وسرور وغبطة

(جـ) زرت التلاميذ فى أثناء درس فى اللغة العربية ، وكان مطالعة مع شرح بعض المعانى والإعراب . فسألت تلميذاً أن يعرب « جلس التلاميذ بنظام » وحقاً كانوا قد فعلوا ذلك ، وأردت أن أمتدحهم إذا ما فرغوا من إعراب الجملة ، فكان أول ما وجه المعلم أنظارهم إليه نطق الجيم فى جلس غير معطشة فقال :

هل لحظتم يا تلاميذى كيف تنطق السيدة المصرية الجيم فى جلس ؟ إنها خففتها وفق ما اتبعوه فى بلادهم

طلبت إلى الأستاذ أن يسمعنى التلاميذ بعض قطع شعرية مما يحفظون وبعض أناشيد ، وقد فعلوا ، أما الأناشيد فتلاحينها ضعيف

ولما جاء دور المحفوظات استأذنت المدرس فى أن أختار أنا التلميذ ، وكان من بين التلاميذ شبيه لعنترة صغير ، فبتوارد الخواطر ، اخترت هـذا الأسود ليسمعنا قطعة من محفوظاته . ولكن التلاميذ ضحكوا وتغامزوا فيما بينهم على هذا الأسود ، وعلى غرابة اختيارى ، واتهموا ذوقى . فقلت : أيها التلاميذ النجباء لماذا تضحكون ؟ ألا يذكر أحد منكم الفارس العربى المقدام الشاعر الهمام ، عنترة العبسى الذى كان يقول :

« لئن أك أسوداً فالمسك لونى » ؟

ويقول :

لئن يعيبوا سوادى فهولى نسب يوم النزال إذا ما فاتنى النسب ؟

ما أسرع البدوى إلى النخوة والشهامة ! لقد اعترف الأولاد بخطئهم حالا ، وقالوا فى نفس واحد : قم يا عنتر ونحن نتبعك . وقام هذا الأسود الصغير ، وألقى قطعة حماسية بالغة . ووالله لا أنسى أبداً منظر التلاميذ من خلفه ومن حوله ، وهم يشتركون معه فى الإلقاء الحماسى ، وكأنما تتحرك القناة فى أيديهم ، والأصائل تكر بهم وتفر لهزم العدو ، ولكسب شرف العرب . بارك الله فى أبناء البدو الناهضين وقواك الله ياقبائل شمر

بعد هذه المعركة الحماسية قلت لتلميذ فى طرف الخيمة ، وقد شهدت على وجهه انفعالا : ماذا تريد أن تنال لو خيرت في نيل أمنية ؟ قال فى غير توان : فرس أصيلة ، لأريك أنى أبز عنترة العبسى وأباه

فتوجهت إلى الشيخ وسألته : كم ثمن الفرس الأصيلة ؟ وعزمت أكيدا أن أترك للتلميذ ثمن الفرس لينال رغبته ، ولكن الشيخ لم يقبل ، ووعد أن يعطيه فرسا من عنده

(د) حضرت درساً إنجليزياً « مطالعة ، ومحفوظات ، وتركيب جمل » والتقدم الذى لحظته على التلاميذ كبير ، ولفت نظرى توقد ذكاء تلميذ من بينهم ، وشدة لمعان عينيه ، فسألت : من يكون هذا التلميذ ؟ فقيل لى : إنه ابن الشيخ عجيل الياور الذى ساح فى أوربا كلها مع والده بعد حضور حفلات تتويج ملك الانجليز

فسألته عما أعجبه أكثر من غيره من البلاد الأوربية ؟ فقال فى إيجاز وتأكيد : أعجبت بسويسرا لجمالها ، وانجلترا لتقاليدها ونظامها ، وألمانيا لاختراعاتها وتظامها ونظافتها . وهذا التلميذ موجود الآن بكلية فكتوريا بالاسكندرية هو وأخوه ، حيث أحضرهما إلى مصر ، أخوهما الأكبر الشيخ صفوك الياور ، وألحقا بهذه الكلية من بدء العام الدراسى . وكانت مفاجأته لنا بالزيارة حلماً تحقق . هذا ويجلس تلاميذ مدرسة البدو هذه لتأدية الامتحان النهائى لمرحلة التعليم الابتدائى ، فى الأماكن التى تخصصها الحكومة العراقية ، فيرحل التلاميـذ عادة إما إلى لجنة الموصل أو سنجار

وقد وجد أن أولاد البدو فى مستوى أولاد الحضر ، بل يفوقونهم فى نسبة النجاح فى الامتحانات العامة

ما دخل العلم بيئة طيبة إلا أثمر فيها وأنتج نتاجاً حسناً . وإنى أعلق أهمية كبرى على هذه المدرسة فى إيقاظ البدو ، وأعدها أول نواة صالحة للأخذ بيدهم فى مدارج الحياة الانسانية الحقيقية

«للحديث بقيه» زينب الحكيم

للتاريخ السياسي

المفاوضات

وتأثير ألمانيا فيها

للدكتور يوسف هيكل

« تعقدت المشكلة التشيكوسلوفاكية في شهر أغسطس (آب) سنة ١٩٣٨ وأخذ تعقدها يزداد حتى كادت تفجر قنبلة الحرب العالمية . غير أنه كان لا يزال هناك أمل في إيجاد حل لهذه المشكلة عن طريق المفاوضات بين الحكومة التشيكوسلوفاكية وممثلي حزب السوديت . وبعرضنا لها نتكلم عن المناورات الحربية الألمانية ومهمة اللورد رنسيان ، ونبين تطورات المفاوضات ، ونذكر تأثير خطاب الهر هتلر على سيرها . »

غادر اللورد رنسيان لندن إلى براغ في أغسطس (آب) ، موفداً من الحكومة البريطانية بالاتفاق مع الحكومة الفرنسية ، ليكون وسيطاً بين حكومة براغ وحزب السوديت . وكانت مهمته بذل الجهود لمنع فشل المفاوضات السائرة بين الدكتور هودزا رئيس حكومة تشيكوسلوفاكيا ، وممثلي الهر هنلاين رئيس حزب السوديت . وفي حالة فشل هذه المفاوضات أعد اللورد رنسيان مشروعاً من عنده ، يوفق به بين وجهتي نظر الفريقين المتنازعين ، ليضمن السلام ويبعد شبح الحرب العامة ، الذي كان يحوم في جو أوربا الوسطى .

ولما أخذ اللورد رنسيان يدرس الوضعية في تشيكوسلوفاكيا ، جابهت ألمانيا العالم باستعداداتها الحربية الهائلة التي دعتها مناورات اعتيادية تاريخ ابتدائها ١٥ أغسطس (آب) .

وفي الواقع كانت التعبئة ، أي التجنيد ، لهذه المناورات تعبئة عامة أقلقت الدوائر السياسية واضطرب منها الرأي العام . إذ صدرت الأوامر بتعبئة جميع الأطباء والممرضات . وتلقى الرجال القادرون على حمل السلاح والذين لم يدعوا إلى الخدمة حتى ذلك الوقت ، الأمر بأن يكونوا في كل وقت مستعدين لتلبية أوامر السلطات ، وحظر على كل ألماني دون الخامسة والستين من العمر مغادرة ألمانيا إلى بلد آخر . وألغيت جميع أجازات العمال في السكك الحديدية ، وأبطلت معظم قطارات السفر لافساح المجال للقطارات العسكرية ، وصادرت السلطة معظم سيارات « الباصات » (أوتوبوس) . وأخذت إنشاءات الطرق نحو الحدود التشيكوسلوفاكية تسير بسرعة عظيمة ، وإقامة القلاع على ضفاف الرين وإتمام خط « سيكفريد » المواجه لخط « ماجينو » تجري بسرعة لم يسبق لها مثيل . ثم أرسلت الجيوش إلى حدود تشيكوسلوفاكيا ، واحتلت القوى العسكرية قلاع الرين والثكنات المواجهة للحدود الفرنسية .

وكان الغرض من هذه الاستعدادات الحربية الهائلة ، غرضاً سياسياً هو التأثير على سير المفاوضات بين حكومة تشيكوسلوفاكيا وممثلي حزب السوديت ، والتهويل على حكومتي لندن وباريس ، لتفسحا المجال لتحقيق المطالب الألمانية .

في هذا الجو الصاخب سارت المفاوضات بين الدكتور هودزا ، والهر هنلاين . وكان الأول ، أي رئيس الوزارة التشيكوسلوفاكية يستند في موقفه إلى تحالفه مع باريس وموسكو ، وإلى التحالف العملي بين لندن وباريس . وكان الثاني أي رئيس حزب السوديت يستند إلى الهر هتلر . وكل منهما كان يعتقد أنه الأقوى ، وكل منهما كان يريد من الآخر أن يتراجع عن موقفه . ولهذه انقطعت المفاوضات مراراً ، ولم تستأنف إلا بفضل جهود اللورد رنسيان وتسامح الحكومة التشيكوسلوفاكية . ورغم ذلك كانت نهايتها فشلا تاما . وإننا لنذكرون أهم تطوراتها :

قدم حزب السوديت الألماني مذكرة إلى حكومة براغ ، في ٧ يوليو (تموز) الفائت ، وعرض فيها الدخول في مفاوضات على أساس تحقيق المطالب التي جاء ذكرها في المذكرة وهي لا تختلف عن المطالب الثمانية التي أعلنها الهر هنلاين في خطابه الذي ألقاه في كارلسباد في ٢٣ أبريل (نيسان) سنة ١٩٣٨. وكانت الحكومة حينئذ آخذة في وضع نظام الأقليات . وفي ٩ يوليو (تموز) اجتمع الدكتور هودزا مع مندوبي الهر هنلاين وباشروا المفاوضات . وفي ١٥ منه صدر بلاغ رسمي مشترك يشير إلى أن الاتفاق تم على أن تكون مذكرة السوديت ونظام الحكومة بشأن الأقليات بمثابة أساس مفاوضات بين الحكومة والسوديت .

سارت المفاوضات ، وكان يحضرها مندوبو الأحزاب البرلمانية في تشيكوسلوفاكيا ، فظن الرأي العام أن الطرفين واصلان إلى نتيجة إيجابية تؤدي إلى الوفاق بينهما وزوال خطر الحرب العالمية .

ولكن بينما كانت المناورات الحربية الألمانية على أشدها ،

والرأى العام متجه نحوها ، أعلن مندوبو السوديت ، فى ١٧ أغسطس (آب) ، عدم قبولهم النظام الجديد الذى وضعته الحكومة لتحسين حالة الأقليات . وأبلغوا اللورد رنسيمان بأنهم لا يرون فائدة من مواصلة المفاوضات مع الحكومة .

اهتم اللورد رنسيمان للموضوع ، وبذل جهودا فى إقناع مندوبى السوديت بضرورة العدول عن رأيهم هذا ، فطلب وفد السوديت مواصلة المفاوضات مع الوزارة فقط ، مفاوضة الند للند فى جلسات لا يحضرها مندوبو الأحزاب البرلمانية . فقبلت الحكومة طلب السوديت ، بعد تدخل الدكتور رئيس الجمهورية التشيكوسلوفاكيه واللورد رنسيمان فى الموضوع على أثر ذلك وافق مندوبو السوديت على مواصلة المفاوضات مع الوزارة ولكنهم أصروا على رفض الاقتراحات التى عرضت عليهم .

عمدت الحكومة إلى منح السوديت الألمان امتيازات جديدة كتعيين عدد كبير من رجالهم فى وظائف كبيرة مختلفة . غير أن حزب السوديت قابل هذه الامتيازات بالاستخفاف والامتعاض . وللوصول إلى اتفاق حاولت الوزارة التشيكوسلوفاكية فى ٢٥ أغسطس (آب) إيجاد قاعدة جديدة للمفاوضات ، غير أنه ظهر فى اليوم التالى أن الأزمة التشيكوسلوفاكيه بلغت حد الخطر ، إذ شقة الخلاف واسعة بين الطرفين يتعذر سدها ، لوقوف حزب السوديت موقف التصلب والتشبث بمطالبة كاملة غير منقوصة . وكانت ألمانيا تشجعه على هذا الموقف وتحثه على عدم التساهل . وأخذت الصحف الألمانية حينئذ تحمل حملة شعواء على تشيكوسلوفاكيا من أجل حوادث تافهة لا قيمة لها ولا أهمية . وكان ذلك دليلاً على أن ألمانيا لا تريد حل مسألة السوديت بمفاوضات حرة

وبسبب خطورة الحالة الدولية ضاعف اللورد رنسيمان نشاطه بإيعاز من لندن ، وبذل جهوداً لمتابعة المفاوضات . فاجتمع فى ٢٨ أغسطس (آب) بالهر هنلاين ، وقصد مساء ٢٩ أغسطس (آب) قصر الرياسة وقابل المسيو بنيش ومهد الاجتماع الهر هنلاين بالرئيس وشاع حينئذ أن ذلك الاجتماع يأخذ مكانه بعد ظهر ٣٠ أغسطس (آب) . غير أن هذا الاجتماع لم يتم ، وبدلاً منه اجتمع الرئيس بنيش بالدكتورين كوندت وسبيدوسكى من زعماء السوديت . وعرض عليهما اقتراحات جديدة للحكومة التى وضعت على أساس تقسيم البلاد إلى مناطق ذات حكومات مستقلة لها سلطات واسعة على مثال سويسرا . وقد أكدت المقامات المتصلة ببعثة اللورد رنسيمان ، أن السوديت الألمان لا يرفضونها إذا تركوا وشأنهم ، ولم يقع عليهم ضغط من جهة الألمان . وفى ٢ سبتمبر (ايلول) اجتمع الدكتوران كوندت وسبيدوسكى برئيس الجمهورية من جديد ، وبسطا له آراء السوديت فى الاقتراحات الجديدة ، التى قدمها إليهم فى ٣ أغسطس (آب) ، وهى تدل على أن حزب السوديت لم يقرر رفض اقتراحات الحكومة بل أبدى فى صددها تحفظات كثيرة يتطلب الاتفاق عليها مفاوضات شاقة طويلة

وفى هذه الأثناء أى فى أول سبتمبر (ايلول) كان الهر هنلاين قد ذهب إلى « برختسكادن » لمقابلة الهر هتلر بإيعاز من اللورد رنسيمان . ولدى عودته [illegible] المستر جوانكين ، [illegible] اللورد رنسيمان ، إلى بلدة آش فى ٤ سبتمبر (ايلول) وقابل الهر هنلاين واطلع منه على ما دار بينه وبين الهر هتلر من حديث ، ثم عاد وأطلع اللورد رنسيمان على ما سمع من الهر هنلاين

وبعد عودة الهر هنلاين من ألمانيا اجتمع بمندوبى السوديت الذين كانوا يفاوضون الحكومة ، وعلى أثر ذلك نشر حزب السوديت فى ٥ سبتمبر (ايلول) بلاغاً له مغزاه ، طلب فيه تحقيق مطالبه الثمانية التى أعلنت فى كارلسباد ، حالاً وغير ناقصة

جدت حكومة براغ فى ٥ سبتمبر (ايلول) فى وضع اقتراحات جديدة لحل مشكلة السوديت ، راعت فيها تحقيق مطالب الهر هنلاين الثمانية ، حسما للنزاع ، وتحقيقاً للوصول إلى اتفاق سلمى .

وفى اليوم التالى قابل الدكتور بنيش زعماء السوديت وأسلمهم الاقتراحات الجديدة ، أو ما سمى « المنهاج الرابع » . وهذا المنهاج يحتوى على تسع مواد توجز كما يلى :

١ — تمثيل الجنسيات والعناصر بالوظائف الحالية والمستقبلة نسبة لعددها

٢ — تعيين الموظفين فى الأقاليم من جنس أكثرية السكان

٣ — تجديد نظام الأمن بتقسيمه إلى بوليس الدولة وبوليس الأقاليم ، ويعين للأقاليم بوليس من جنس سكانها

٤ — مساواة لغات الأقليات باللغة التشيكية

٥ — القيام بعمل واسع النطاق فى سبيل إنعاش الحركة الاقتصادية فى المناطق الألمانية التى أصيبت بأشد أضرار الازمة . منها منح هذه المناطق قرضاً تبلغ قيمته خمسة ملايين جنيه بشروط متهاودة

٦ — تقسيم البلاد مقاطعات مستقلة استقلالا ذاتياً ومتساوية في الحقوق على أساس عنصرية السكان

٧ — إنشاء إدارة خاصة للاقاليم في جميع الادارات المركزية يديرها وطنيون ، لمعالجة المسائل المتعلقة بجنسياتهم

٨ — المحافظة على حقوق المواطنين القومية بقوانين خاصة ، ويكون لهيئات التمثيلية المختلفة حق الاعتراض على أي تدخل في حقوق أو مصالح الجنسيات التي تمثلها . وستكون سجلات خاصة لكل جنسية

٩ — اتخاذ احتياطات حالية للوصول إلى اتفاق على هذه النقاط التي لا تتطلب احتياطات تشريعية . أما فيما يتعلق بوضع قوانين جديدة، فإن الحكومة ستحضرها بالاشتراك مع حزب السوديت الألماني . وستعرض المشروعات على البرلمان وتنفذ بأسرع وقت ممكن

قابل الألمان السوديت اقتراحات الحكومة هذه بارتياح ، وقبلوها في ٧ سبتمبر (إيلول) أساسا للمفاوضات ، لأنهم رأوا فيها تحقيقا يكاد يكون تاما لنقاط كارلسباد الثمانية ، فساد التفاؤل وعظم الأمل بالوصول إلى حل ودي . غير أنه في اليوم نفسه وصلت براغ أنباء حادث «ماهريش استراو» فأثارت غضب الألمان السوديت فقرروا قطع المفاوضات . أما حادث ماهريش استراو فيوجز فيما يلي:

وصل في ٦ سبتمبر (إيلول) كثيرون من ممثلي حزب السوديت الألمان إلى ماهريش استراو لمطالبة السلطة بالتحقيق في بعض الأخبار التي يؤخذ منها أن الألمان السوديت الذين كانوا قد اعتقلوا عوملوا في السجن معاملة سيئة . ولما دخلوا دار المحافظة تجمع الأهالي الألمان خارج الدار. فأعمل البوليس الركبان فيهم الضرب بالعصي والسياط لتفريقهم . ويقال إن البوليس ضرب اثنين من نواب السوديت على الرغم من تلويحهما بشهادتيهما القانونية

اهتمت حكومة براغ لهذا الحادث ، واتخذت التدابير لعدم تكرره ، ولتحسين معاملة المساجين الألمان . وطلب رئيس وزارة براغ مقابلة النائبين كوندت وروش ، فاجتمع بهما مساء ٧ سبتمبر (إيلول) ، ودارت محادثة سوى على أثرها حادث مهريش استراو وانتهت بالاتفاق على استئناف المفاوضات

وبينما كانت حكومة براغ جادة في حل المشكلة التشيكوسلوفاكية بالاتفاق مع السوديت الألمان بمنحهم مطالب زعيمهم الثمانية ، فاجأت جريدة التيمس ، المعروفة بصلاتها الوثيقة مع حكومة لندن ، العالم في ٧ سبتمبر (إيلول) مقترحة في مقال رئيسي ، حل المشكلة التشيكوسلوفاكية عن طريق فصل الأقاليم السوديتية وضمها إلى ألمانيا . ومصرحة « بأن إرادة الأهالي الذين يهمهم الأمر ستكون عاملا له أهمية فاصلة في أية تسوية يرضى أن تكون دائمة » وهذا الحل غاية ما يصبو إليه السوديت الألمان ، وما يرمي إليه الهر هتلر . غير أن السوديت الألمان لم يجرؤوا حتى ذلك التاريخ على طلبه ، ولم يأملوا تحقيقه

وبينما كانت المفاوضات تسير في براغ بصعوبة ومشقة ، ومن غير أن توصل إلى نتيجة إيجابية ، قرب يوم الاثنين الموافق ١٢ سبتمبر (إيلول) ، وهو تاريخ إلقاء الهر هتلر خطابه التاريخي ، الذي كان ينتظره الناس في جهات الدنيا الأربع . فأحالوا نظرهم عن تشيكوسلوفاكيا ، واتجهوا نحو نورمبرغ ، حيث انتقل إليها مركز النظر في المشكلة التشيكوسلوفاكية ، وحيث يلقي زعيم ألمانيا كلمته الخطيرة

كان خطاب الهر هتلر شديد اللهجة عنيفاً ، ولم يكن في الامكان في أحوال دولية عصيبة كأحوال شهر سبتمبر (إيلول) الفائت ، أن يلقي زعيم ألمانيا خطبة أشد لهجة من الخطاب الذي ألقاه في مؤتمر نورمبرك وكان « ضربة أصابت أساس سياسة التوفيق التي سار عليها المستر نيفل تشمبرلين » ، كما قالت النيويورك تايمس في ١٣ سبتمبر

فقد حمل فيه على الحكومات الديمقراطية حملة شعواء ، ملؤها السخرية والازدراء ، وهاجم حكومة براغ هجوماً عنيفاً بعبارات ملؤها الاهانة والتحقير . ومما قاله بصدد المشكلة التشيكوسلوفاكية:

« ... إني أعلن أن هذه المخلوقات المضطهدة (أي السوديت الألمان) إذا لم تحصل على حقها وعلى المساعدة التي تستطيع المطالبة بها فانها ستنال هذا الحق وهذه المساعدة منا .. لقد سبق لي أن أعلنت أني لا أتحمل بعد الآن أن يظل هؤلاء الملايين الثلاثة مضطهدين ، وأرجو من رجال سياسة الدول الأجنبية أن يعلموا أن هذا ليس كلاماً بلا معنى » . وبعد أن ذكر الفوهور أن ألمانيا ضحت كثيراً في سبيل السلم قال « إن الشعب الألماني ليس مستعداً لأن يقبل آلام ثلاثة ملايين ونصف مليون أو يشترك في تحملها. إني أستطيع أن أؤكد لساسة لندن وباريس أننا عازمون على الدفاع عن مصالحنا في جميع الظروف . وإني أفضل أن أتحمل الضيق والخطر والاضطهاد على أن أعدل عن تحقيق هذا الواجب »

وبعد أن أبان الأعمال التي قام بها منذ ٢٨ مايو (مايس)

الأخير لتعزيز قوى ألمانيا الحربية قال : « لقد بذلت هذا الجهد لأضمن السلم ، ولست على استعداد لأن أشاهد اضطهاد الشعب الألماني في تشيكوسلوفاكيا بهدوء لا حد له. إنهم يريدون الشروع في مفاوضات وتسويف الأمور ولكن ذلك لا يمكن أن يدوم »

« إن ما يريده الألمان هو حق تقرير مصيرهم بأنفسهم ، وهذا ما يتمتع به كل شعب بدون شك . إني أريد أن ينتهي اضطهاد ثلاثة ملايين ونصف مليون من الألمان في تشيكوسلوفاكيا ، فان المسألة مسألة مواطنين ألمان ، ولا أرغب في أن تنشأ على الحدود الألمانية فلسطين أخرى ، فألمان تشيكوسلوفاكيا لن يظلوا بدون دفاع ولن يتركوا لأنفسهم ... »

وقد ختم الهر هتلر خطبه بقوله : « إننا لن نذعن بعد الآن لارادة أجنبية ، وإنني أقسم على ذلك وليساعدني الله »

أصر الهر هتلر في خطابه على وجوب إعطاء السوديت الألمان « حق تقرير مصيرهم » ولم يطلب صراحة فصلهم عن حكومة براغ وضمهم إلى ألمانيا ، لعلمه حق العلم بأن الألمان السوديت إذا أعطوا حق تقرير مصيرهم يقررون الانضمام إلى الريخ الألماني ، وليظهر للعالم بأن ألمانيا لا تريد التوسع في أوربا وإنما البلاد المأهولة بالألمان ، خارج حدود الريخ ، تريد الانضمام إليه

كان لخطاب الهر هتلر تأثير عظيم على نفسية الألمان السوديت وأنتج تغييراً أساسياً في مطالبهم القومية ، إذ أعلنوا أن مطالبهم الثمانية المعلنة في كارلسباد لم تعد أساساً صالحاً للمفاوضات . وطافت جموعهم في الشوارع طالبة الاستفتاء ، وقامت مظاهرات نادي القائمون بها بالانضمام إلى ألمانيا ، هاتفين: « شعب واحد ريخ واحد ، زعيم واحد » .

أدى هذا الهياج إلى حدوث اضطرابات ومصادمات اضطرت الحكومة إلى إعلان الأحكام العرفية . غير أن ذلك لم يرق حزب السوديت فأنذر الحكومة في ١٣ أيلول وقدم إليها مطالب منها إزالة هذه الأحكام . وأمهلها ست ساعات ، مهدداً بعدم استئناف المفاوضات . وردت الحكومة على هذا الانذار بأنها لا ترى مانعاً من قبول مطالب الحزب إذا وجه الزعماء إلى الشعب نداء يناشدونه فيه احترام القانون والنظام ، وجاء وفد منهم إلى براغ للمفاوضة في هذا الشأن .

لم يأبه حزب السوديت لرد الحكومة ، بل أصدر بلاغاً جاء فيه « أنه لم يعد من الممكن مواصلة المفاوضات على الأسس التي اتبعت حتى الآن . ولذلك أعفى الهر هنلاين الوفد من مهمته وشكره على جهوده » . وفي اليوم التالي طلب حزب السوديت رسمياً من حكومة براغ أن يكون للألمان السودت حق تقرير مصيرهم . ونقل الحزب مركزه من براغ إلى اشن ليكون قريباً من الحدود الألمانية .

وفي ١٦ أصدر الهر هنلاين بياناً قال فيه « إننا نريد أن نعيش عيشة الألمان الأحرار ، إننا نريد أن نعود إلى الريخ » . وأخذت صحف الألمان تحمل حملة عنيفة على تشيكوسلوفاكيا ، ومما قالته جريدة « فولكشر بيوباختر » صباح ١٧ سبتمبر (أيلول) ، أن الوقت قد حان لابعاد المسيو بنيش عن مسرح السياسة الدولية الأوربية وإزالة دولة من خريطة أوربا .

إن انقطاع المفاوضات أضاع الأمل في الوصول إلى حل سلمي دون تدخل الدول الأخرى » ، وقال اللورد رنسيان في الكتاب الذي أرسله إلى المستر تشمبرلن في ٢١ سبتمبر (أيلول) إن مسئولية قطع المفاوضات النهائية في رأيي ، تقع على الهر هنلاين والهر فرانك ، وعلى هؤلاء من مؤيديهم ، داخل البلاد وخارجها ، الذين كانوا يحضون على أعمال العنف وعلى الأعمال غير الدستورية»

أقلق خطاب الهر هتلر وما تبعه من اضطرابات وقطع المفاوضات في تشيكوسلوفاكيا ، الرأي العالمي وبالأخص في لندن وباريس ، ودعاهما إلى بذل آخر ما لديهما من جهود في سبيل حفظ السلام . فما هي هذه الجهود ؟ وماذا كانت ثمرتها ؟ هذا ما سنعرضه في مقال آخر .

يوسف هيكل

المستشرقون الايطاليون

فى مؤتمر بروكسل الدولى

للدكتور أومبرتو ريتزيتانو

نشرت «الرسالة» الغراء فى عددها (٢٧٤) مقالا بسطت فيه أعمال مؤتمر المستشرقين الدولى العشرين المنعقد بمدينة بروكسل فى الثلث الأول من سبتمبر الماضى بدار الأكاديمية البلجيكية. وقد لاحظت أن الدكتور مراد [illegible] صاحب المقالة لم يذكر فى حديثه عن المؤتمر إلا ثلاثاً من المحاضرات التى ألقاها المستشرقون الايطاليون، بينما كانت لمستشرقي إيطاليا فى المؤتمر المذكور بحوث قيمة فى موضوعات طريفة، ولذلك أرى أن أتلافى هذا السهو على صفحات هذه المجلة المجيدة. ففى القسم الأول الخاص بالعلوم المصرية والأفريقية القديمة مثل إيطاليا الأستاذ بينتيو فرارينو مدرس علم الآثار واللغات السامية والحامية فى جامعة مونتفيديو عاصمة الأورجواى بأمريكا الجنوبية، وكان موضوع محاضرته «الضمير فى اللغات الكوشية» المنتشرة فى بلاد الحبشة. وأعقبه فى هذا القسم نفسه المدير العام للشئون السياسية فى وزارة أفريقيا الإيطالية بروما (وهو اسم أطلق حديثاً على وزارة المستعمرات) الذى أسهب فى الكلام عن الأبحاث الايطالية فى لغات السلالة الشرقية ومركزها بين اللغات الأخرى، ولخص فى نهاية خطابه النتائج التى وصل إليها الايطاليون فى هذا الميدان العلمى

أما فى القسم الرابع الخاص بالهند فقد مثل إيطاليا فيه الأستاذ أمبروجيو بالينى من جامعة ميلانو، والأستاذ فيتورى بيزانى مدرس تاريخ اللغات الكلاسيكية المقارن بجامعة كاليرى بجزيرة سردينيا، فقرأ أولهما بحثاً من أبحاثه الطريفة استرعى الانظار، وألقى الثانى محاضرة عن «المهابهاراتا» وهو الكتاب المشهور عند الهنود — وعن تكوينه الاول

أما القسم الثامن الخاص بالعلوم الاسلامية، فقد اشترك فى الكلام فيه جم غفير من المستشرقين الايطاليين. ومن المعروف أن إيطاليا تهتم اهتماماً متواصلا بعلوم الشرق الأدنى نظراً لما لها من المصالح السياسية والتجارية والثقافية فى هذه الأصقاع. وهذا هو بلاشك السبب الأساسى الذى يدفع الايطاليين إلى الاسترسال فى دراسة هذا القسط من أقساط علم الاستشراق. فتكلم الأستاذ جويدى مدرس اللغة العربية وآدابها فى جامعة روما عن نشرته الحديثة عن مخطوطات الكندى المنقولة من نسخه أيا صوفيا رقم ٤٨٣٢، كما ألقت السيدة الدكتوره لاورا فيتشيا فاليرى المدرسة بجامعة نابولى بحثاً عارضت فيه مشروع تيسير قواعد اللغة العربية وذكرت آراءها بصراحة فى هذا الموضوع الخطير الذي تعنى به وزارة المعارف المصرية فى وقتنا هذا — كما قام الأستاذ «بومي» القانونى الايطالى من جامعة ميلانو، بذكر بعض الملاحظات الانتقادية فى مقارنته بين الكتابين المعروفين «بالمجلة» و «مرشد الحيران إلى معرفة أحوال الانسان» للمرحوم محمد قدرى باشا

أما فى الأدب العربى الأموى فقد تكلم من المستشرقين الايطاليين الأستاذ جابرييلى من معهد نابولى الشرقى، والدكتور ريتزيتانو كاتب هذا المقال، فتكلم أولهما فى خطبة فصيحة عن الشاعر الأموى «كثير عزة» وراويه جميل، والعلاقات الودية التى كانت بينهما. أما الثانى فقد تكلم عن الشاعر الأموى «أبو محجن نصيب بن رباح» وعن الضرورة القاضية بدراسة وافية لشعراء العصر الأموى المغفلين لمعرفة شتى الأخبار الموجودة فى شذور إنتاجهم الشعرى المتفرقة فى مختلف كتب الأدب والتاريخ، كما اقترحت السيدة الفاضلة «أوجابيتو» نشر دراسات عن الرحالة الايطاليين ورحلاتهم فى الشرق الأدنى. ولعمري إن هذا المشروع ليستحق كل الاهتمام لأنه سيقدم مساعدة مهمة لعلم الخرائط الجغرافية وتقدمها.

كذلك عرفنا الأستاذ بومباتشى من جامعة نابولى بكتاب قد سكنت ريحه عن النحو التركى ألفه راهب يسوعى فى القرن السادس عشر

ومما لا شك فيه أن علم الاستشراق فى أوربا وبصفة خاصة فى إيطاليا قد ازدهر ازدهاراً عظيماً فى الفترة الواقعة بين القرنين الثانى عشر والسادس عشر. وإن اهتمام بلادنا بالعلوم الشرقية يرجع إلى عناصر مختلفة من بينها الروح التجارية المتواصلة، والتبشير المذهبى الدينى فى بلاد الشرق؛ وعلى العموم الرغبة العلمية المستمرة. ولقد التفتت النهضة الايطالية نحو الشرق — الأدنى منه والأقصى —

الكونتس فالنتين دى سان بوا

للأستاذ كامل يوسف

جرى قلمي في كلمتي عن المرحوم ولى الدين بك يكن بذكر الكونتس فالنتين دى سان بوا ، وبما أنها من الدوحة الشاعرة التى أنجبت لامرتين شاعر الجمال والحب ، ومؤلف عشرات الكتب التى تفيض بالشاعرية والخيال الخصيب ، أحببت أن أكتب كلمة عنها لتعريف المصريين بها

فهى حفيدة لامارتين ، أو على الأصح ابنة ابنة أخته ، ورثت عن خال أمها الروح الشاعرية وسمو الخيال ، فكانت شاعرة من الطبقة الأولى لا يشق لها غبار. ويمتاز شعرها بالروح الصوفية . وهو ككل شعر صوفى مبهم يحتاج للشرح والتعليق حتى يدرك القارىء كنهه . وقد بدت هذه النزعة في ديوانها الشعرى الذى اشتهرت به ؛ ويكاد يلمس القارىء لهذا الديوان روح نيتشه فى كتابه « هكذا قال زرادشت » ، بل إنه يسير على نمطه في الأسلوب. وقد أبديت رأيي هذا في عام سنة ١٩٢٨ للأدباء الذين كانوا يحيطون بها فلاقى منهم التأييد ، لأن الكونتس كانت تعجب بنيتشه كشاعر فذ ، خصوصاً فى سفره « هكذا قال زرادشت » وكانت لا ترى فيه فيلسوفاً له مدرسة فلسفية خاصة

وهذه الروح الصوفية هى التى حدت بها إلى الاقامة بمصر ، فهى زوجة وزير من وزراء فرنسا وزارت أسبانيا ، وشاهدت هناك جامع قرطبة ، فأعجبت بالفن العربى ، واتخذ هذا الاعجاب صورة فعلية فأرادت أن تلمس حياة الشرق وتختبر روحه ، فتركت فرنسا بما فيها من مدنية وجاءت إلى مصر باعتبارها المركز الروحى للبلاد الشرقية ، وكان هذا الولع بروح الشرق المتصوفة دافعاً لها على إصدار مجلتها الشهرية « فينكس » للدفاع عن أمم الشرق قاطبة . وقد أنفقت على هذه المجلة مالاً وفيراً ، وظلت أكثر من عامين وهى تسخر قلمها البديع لهذه الغاية السامية ولكنها لم تستطع الاستمرار فى إصدار مجلتها لنضوب مواردها من أملاكها بمقاطعة سان بوا بفرنسا ومن ريع مؤلفاتها الكثيرة ، وذلك عند هبوط سعر الفرنك فى سنة ١٩٢٨

وقد بدت الروح الصوفية عند الكونتس دى سان بوا فى أجلى صورها عند ما لجأت إلى أسلوب مبتكر للتعبير عن المعانى الباطنية للحقائق الظاهرة ، وقد أطلقت على هذا الأسلوب لفظ « الميتاكوري » وقد جاهدت كثيراً فى نشره فى فرنسا وأمريكا وأنفقت المال فى سبيل تقريبه للأذهان ، ولكن غموضه كان عقبة كأداء فى سبيل ذيوعه . وقد نشرت كثيراً من الرسوم بريشتها لإيضاح غاياتها ، ولكن العالم الأدبى لم يفهم ما تريده الشاعرة من هذه الحركة الصوفية . وقد حاولت أنا وصديق الشاعر فولاد يكن أثناء اتصالنا بها بحلوان أن نفهم هذه الحركة كما يجب ، فلم نخرج منها بأكثر من أنها نوع من الرمزية فى الشعر والرسم ترمى إلى إبراز المعانى الباطنة لظاهر الأشياء . ولما رأت عدم استعداد العقول لفهم نظريتها — التى تقول إن فنانى الاغريق كانوا يعملون بها — اتجهت للدفاع عن بلاد الشرق المهضومة الحق ...

وقد أقامت الكونتس دى سان بوا بحلوان بقصر محمد بك أنسى بشارع سيد احمد باشا . وكانت دارها ندوة للأدباء زارها فيها الدكتور ماردريس المستشرق الفرنسى المعروف وقدم لها ترجمته الفرنسية لكتاب « ألف ليلة وليلة » وكتب الاهداء بالعربية : « هدية من الشيخ الماردريسى » . وكان أول من اتصل بها من المصريين الشاعر الكبير فولاد يكن ، وحدث ذلك على أثر زواجه من مدام (س) الفرنسية (وهى زوجة أحد كبار كتاب فرنسا) التى استقدمتها وزراة المعارف لتتولى نظارة مدرسة بنات الأسر الراقية . ومع أن هذا الزواج لم يطل فقد كان سبباً فى تعرف الأستاذ فولاد يكن بالكونتس ؛ وقد رأت فيه الشاعرة مواهب شعرية تنبئ عن مستقبل زاهر فى عالم الشعر فاحتضنته ،

فى دائرة الانتاج الأدبى حوالى منتصف القرن الماضى حين ثبت أن الحاجة ماسة فعلا إلى ضرورة الاستمرار فى هذه الناحية من نواحى العلم والأبحاث ، وإنى لا أتردد فى القول بأن كل الفضل يرجع إلى المستشرقين الثلاثة ميكيلى آمارى وجيرارنا دوباسكوالى وانيازيو جويدى فى كثير مما شرع فيه ومما تم من التقدم وإيقاظ الهمم فى هذه الفترة . كما أنه كان من أسباب إنجاح هذه الحركة العلمية الجديدة المساعى القيمة التى قام بها هؤلاء الأنصار الثلاثة الذين استوفت أبحاثهم ودراساتهم وانتشرت فى العالم أجمع

دكتور
أومبرتو ريتزيتانو

وجعلته كابنها ، وأقام بمنزلها بحلوان يأكل ويشرب ويترمض معها كأنه فرد من أسرتها . وقد أنتجت هذه الصداقة ثمارها إذ قدمته لدور النشر الفرنسية فنشرت له بعض مؤلفاته الشعرية والنثرية مقدمة بقلمها البليغ

وكان يجتمع فى دارها الأدباء . وقد قدمنى فولاد يكن إليها كأديب ناشئ مهتم بالأدب السكسونى وخصوصاً فن برنارد شو الذى كنت أؤلف فيه فى ذلك الوقت كتاباً عن آرائه فى الحياة والأدب والفن والسياسة . وكانت تعرف عنى هذا الاهتمام فكانت تدعونى « برنارد شو الصغير » . وقد قدمتنى فى إحدى حفلاتها الماسونية لاحدى زوجات سلطان تركيا المخلوع التى قدمت إلى مصر وألقت بنفسها فى النيل عنــد قصر النيل . وكانت هذه الأميرة على غاية من جمال الخلق والخلق ، تركت فى نفسى أثراً لا يمحى ، إذ تمثل لدى فى هذه اللحظة عظمة الملك ممثلة فى شخص هذه السيدة الكريمة ؛ وهى فى رزانتها وصمتها أبلغ منها وهى فى أبهة العرش . وقد حدث أن ثارت بين أديبين مناقشة عن أدب هوجو ، وكان أحدهما يرى أنه فن مزخرف أجوف ، وكان يعارضه الآخر بأنه أدب حى ، وأبديت رأيي فى هذه المناقشة بأسلوبى الفرنسى العاجز ، وكنت وقتئذ لم ينضج علمى بالفرنسية لانصرافى للأدب الانجليزى ، فسخر من أسلوبي صديق فولاد يكن ، ونعته بأنه فرنسى صينى ، ولم ينجنى من حملته علىّ إلا السلطانة ، فقد عطفت علىّ بأن قالت : إن أسلوبي كإنسان لم يدرس الفرنسية بالمدارس لا بأس به . وقد حمدت لها هذا الموقف الذى خلصنى من المأزق الذى تورطت فيه

وتشاء الصدفة أن أقرأ إبان تعرفى بالشاعرة الكبيرة قصة « روفائيل » ترجمة الأستاذ الكبير احمد حسن الزيات ، وأردت أن أذكر لها اهتمامنا فى مصر بأدب جدها لامرتين ، فذكرت لها أننى أقرأ ترجمة عربية لرفائيل تكاد فى بلاغتها أن تكون صورة ثانية للأصل الفرنسى ؛ وذكر الاستاذ فولاد يكن تمكن الأستاذ الزيات من لغة العرب والفرنسيين مما جعل الترجمة تحفة من التحف فى أدبنا المصرى الحديث ، وقد أعجبت الكونتس بذلك كثيراً . ولكنها كانت لا ترى فى « رفائيل » العمل الفنى الذى يجب أن يخلد به اسم جدها بمصر ، وقالت فى ذلك إنه مؤلف يسوده الاغراق فى المبالغات مما جعله فى مرتبة أقل من غيره من المؤلفات الأخرى ، [illegible] الدكتور منصور بك فهمى فى مقدمته لترجمة الأستاذ الزيات مثل [illegible] الرأى ، وأن ذلك قد دعا لامرتين نفسه إلى إعادة النظر فى مؤلفه هذا فى الطبعات التالية فأبعد عنه بعض المبالغات العاطفية التى أخذها عليه النقاد

وللكونتس دى سان بوا رسامة ماهرة ترسم بالزيت وتحفر على الخشب ويشوب رسومها الروح الصوفية ، وهي تزين دارها بهذه الرسوم. وقد بلغت براعتها فى الرسم أنها كانت تحفر صورتها على الخشب فكانت ملامحها تنطق كأنها رسم فوتوغرافى . وقد انصرفت فى السنين الأخيرة إلى التحرير الصحفى وتولت رياسة تحرير أمهات الصحف الفرنسية بمصر . ويمتاز أسلوبها الفرنسى بالجزالة الكلاسيكية ، وقد اكتسبت أثناء إقامتها بمصر صداقة الشخصيات البارزة في المجتمع المصرى

وأختم كلمتى عنها بمـا تبديه من عطف على الشرقيين ، فقد كانت تغشى حفلات العرب الذين يعيشون فى الخيام بقرية حلوان البلد الواقعة على النيل فى الليالى القمرية ؛ وكانت تعجب بسمرهم ؛ وكانت تنثر على أطفالهم النقود ، لذلك كانوا يحفظون لها هذا الجميل . وقد أعربوا عن عرفانهم لهذا الجميل فأهدوا إليها كلبا من كلابهم الضخمة ، أطلقت عليه اسم « بطل » وكان هذا الكلب موضع عنايتها ، وكانت توكل إليه حراسة دارها ، وعند ما تركت حلوان وأقامت فى إحدى فنادق القاهرة الفخمة أخذته معها ، وكانت تفخر به على الدوام لأنه (عربون) مودة لا يصح التفريط فيه

كامل يوسف
عضو بالمعهد الفلسفى البريطانى

حاشية : يأسف الكاتب لعدم إيراد أمثلة من شعر الكونتس ورسومها لأن مكتبته فى طريقها إلى كوم حمادة حيث سيحل ترحاله .

الحـــالمون

ترجمة السيدة الفاضلة « الزهرة »

الحالمون هم الذين أنطوا لنا في الدنيا جوانب العيش الخصب المريض، والخير الجم المستفيض، وأرشدونا إلى مبادرة السوانح، وفتحوا لنا أمصار الفرص البيض. ولعله لم يخطر لك ببال مطلقاً أن ما تردد فيه طرفك، وتعده من خاص ملكك في هذا الكون الوسيع، منتسب إلى عطاء حلم رائع تحقق، ورؤيا مجيدة صدقت ...

أدر الطرف حولك واسأل: مَنْ ذا الذي منحنا النعم المألوفة لدينا، والصنائع الشائعة بيننا؟ ومَنْ ذا الذي أسبغ علينا النور ليلاً، وحبانا بالقدرة على الطواف حول العالم؟ ومَنْ ذا الذي أباد الوباء ومحق الطاعون، وأعاننا على قهر جميع العلل والأدواء؟

لقد ملأت جميع هذه المواهب الكبيرة صدر العالم، وتتابعت علينا تتابع القطر على القفر، فورثناها مع الهواء الذي نستنشقه، وتلك الصيحة الظافرة تنبعث إلينا من أروقة الزمن قائلة: « وجدتها! وجدتها! »

إن أرخميدس لم يقم بمظاهرة هائلة حين باح للعالم بسر الثقل النوعي، ولكنه قفز من حمامه فجأة، وراح يركض في طرقات المدينة متهللاً، ويهيب بالناس قائلاً: « وجدتها! وجدتها! »

وكذلك كانت تلك الروح الزخارة، التي أنعشت دنيا العلم قاطبة، دون أن تضطرب بحب الكسب والمنفعة الشخصية، في كيان أي رجل ممن أثقلوا الكواهل بأياديهم التي يفرض لها الشكر ويتحتم، لأنهم بذلوها في سبيل المصلحة العامة، وأضافوها إلى حدائق العمران من فيض سجاياهم البارة، بسخاء نفوسهم الأمارة بالخير، المطبوعة على المعروف كأنه غريزة فيها تشبه غريزة التغريد في الطير، وعنصراً من عناصرها يحاكي الجمال والشذى في الزهر... وكانوا جميعهم سعداء مغتبطين إذ مكنوا الانسان من حكومة نفسه، وضاعفوا قدرته على تصريف أموره والأخذ بناصيتها؛ وقد حملوا ألوية جهادهم، وبنود كفاحهم، وكلمات كبار « المجاهدين » المستميتين من معشر الرومان، تتدفق من شفاههم، ولكن بروح من النبل الذي يبز كل ما اختلج من معانيه في حياة أولئك الرومان البواسل وكأنهم كانوا يخاطبون الانسانية بلسانهم قائلين:

« نحن الذين نوشك أن نموت موت الايثار والفاداة نحييك يا قيصر! »

حقاً إن انتصاراتنا الباهرة على ويلات الحياة مسجلة في سير كثير من أولئك المجاهدين البررة. ولئن لم يكن الموت في سبيل العرفان وآيات الجهاد من نصيبهم على الدوام، فإن مثابرتهم الصامتة كثيراً ما كانت محفوفة بمرائر جسيمة تتحيف الصبر وتهد الأركان وتجعل الموت عذباً مستساغاً؟

وإننا لنعلم أن « وليم هارفي » حين أعلن في محاضراته المتواضعة سير الدورة الدموية في الجسم الانساني، وفتح الأذهان لأول مرة لتفهم سر من أسرار الوجود العظيمة لم يكن يطمع في منحة أعظم من إقبال الناس على أبحاثه وقبولها بروح العطف، بيد أن العالم أبى عليه هذه المنحة. وغاليلو لم يتطلب منفعة من اكتشافاته التي جلت للأفهام حقائق كثيرة في الفلسفة الطبيعية، بل كان جزاؤه التهديد بالتعذيب، ووجد غنمه الأكبر في نجاته من هول الخازوق والمذراء: آلة التعذيب بمط الجسم!

ولقد مات « تيخوبراه » في أحضان الفاقة والشقاء لأنه قشع عن العقول البشرية غيوم الترهات والخزعبلات التي كانت تدفعها إلى الفزع من الأجرام السماوية والكواكب السيارة. وقد أحدث « دارون » وهو في مرتقاه الرفيع، فوق ذروة تلال « كنت » ثورة عظيمة في العقول لم يسبق لها مثيل في كل ما أحدثه عالم من علماء الطبيعة. بل إن الراهب « مندل » في حديقة صومعته المشمسة، وبنحله وبازلائه قد بلغ حيث لم تبلغ جهود دارون في كل ما توصل إليه لاكتشاف ناموس الوراثة. ومع ذلك فقد لاقى هذان الرجلان الناجزة والعداء « مع أن راهب برن الشيخ » قد أسبغ منناً عظيمة كفلت الغذاء الصالح للانسان والحيوان، وأدخل على نتاج العالم الحيواني والنباتي تقدماً لم يدع... إليه أي إنسان بل أي جيل من الناس. وكل من يعنى

أن يجيء اليوم بسلالة جديدة من الماشية والأغنام ، أو نوعاً جديداً من الزهر والثمر والبر والحنطة، لابد له أن يتبع النواميس التى اكتشفها ونشرها الراهب الشيخ فى حديقته ببلدة «برن» وكل ديون العالم تقصر عن الوفاء بحقوقه التى لم يتقاض لأجلها شيئاً من العالم ، أو يفرض عليه أجراً لها ، بل إنه لم يؤثر نفسه بامتياز من امتيازاتها أو يحتكر حقاً من حقوق اكتشافها، وذلك لأنه كان رجلاً من الرجال الذين يغتذون بالأحلام .

وكذلك كان الحال فى الثروة المادية التى تنشط اليوم مئات الصناعات والحرف ، وتوطد دعائم حضارتنا ، ونحن لا نستطيع بحال من الأحوال أن نحصى أياديها لأنها لا تمد ، ولا تقف عند حد . على أن الاستفادة بها والتغنى بذكرها هما جل ما يبغيه أولئك الأعلام الذين جدوا وسموا دون أن يتطلبوا جزاء ولا شكورا فى سبيل الانارة والنهوض بالانسانية .

ولقد انتقل العالم من عصر الحديد إلى عصر الفولاذ فعصر الكهرباء واللاسلكى ، وجميع هذه الاكتشافات الأساسية التى غيرت وجه الوجود من عصر إلى عصر قد أغدقها علينا رجال أفاضوا شباب برهم وسحب معلوماتهم وذكائهم كعطايا سمحة لأهل جيلهم. فنحن نشيد عمراننا على أسس وضعها أولئك المجاهدون الصناديد الذين اتخذوا من ميادين النزال ومعامع الكفاح مدارس للبحث والتفكير والاستقراء ومعملات للاختبارات والتجارب العلمية . ولقد قدم نيوتن ونابيرامصرها آلتين من أفضل ما جاءت به مستحدثات العلوم الرياضية فزودوا العلم بقوة عقلية تفوق كل وصف . وقد أثبت الطبيب دالتون تلك الصورة النهائية القطعية لنظريته العجيبة — نظرية تركيب الجوهر الفردى . كما وضع العالم الانجليزى بول الأساس الراسخ لجميع الأعمال الباهرة التى تجرى الآن فى دائرة « استحالة الأقتدار » وقد ورث العلامة العظيم جيمس كلارك مكسويل ثروة طائلة من أمالى الفلسفة الطبيعية فاستغلها فى التمهيد لاكتشاف التموجات الأثيرية بعد أن تمكن من إدراك أبعادها وتقدير مساحاتها ومقاييسها . وتناول هنريك هرتز الألمانى أعمال ذلك العلامة الانجليزى فتمكن من إشعاع أمواج اليكترماجنتيكيه (المغناطيسية الكهربية) بواسطة جهاز كهربائى للذبذبة وجعل العامل الأساسى لانتاج هذه الأمواج الشرر الصغير الذى كان يظهر من ثغرة صغيرة فى أداة معدنية فيعبر الغرفة دون أن تكون هناك أية حلقة للاتصال غير الهواء . ولقد انسحق قلب دافيد ادوارد هو ، من جراء الفشل الذى صادفه فى تجاربه اللاسلكية ، ولكن جيلاً من الناس الباحثين المستطلعين أفلحوا فى تحقيق أحلامهم التجريبية حتى ظهر أخيراً المخترع الايطالى العظيم جوليلمو ماركونى وتناول أبحاث أسلافه ولم يزل بها حتى تمكن من زيادة الاشعاع وتحسينه وتنميته وضبطه ، وتوصل إلى إتمام اختراعه فلم يكد يشارف السابعة والعشرين من سنى حياته حتى برهن على مخترعه عملياً وأذاع إشارته اللاسلكية الأولى عبر المحيط الأطلنطيقى ، وبذلك أكمل اللاسلكى أهم رحلة فى حياته مثبتاً للملأ أنه كان سائراً به فى الطريق الموصل إلى ذروة النجاح النهائى بعد أن تجشم صعوبات هائلة وذلل عقبات كبيرة .

ولا شك فى أن أغلبنا يعرف عظم ما ندين به لصمام الحرارة « الترمونيكى » الذى اخترعه الأستاذ « فلمنج » ولا يخفى علينا أن ذلك الصمام ينبعث من كوكبة (هى المصباح الكهربائى) ولكن كم منا يذكر أن هذه الكوكبة لم تكن لتوجد لولا تلك الأنبوبة المفرغة التى ابتكرها سير وليام كروكس ؟ على أن هذه الأنبوبة التى كانت فكرة تتردد فى مخيلة ذلك الرجل المستطلع ، صارت فيما بعد مهداً للخوارق التى بذت جميع ما سبقها من أعمال قوى الطبيعة الغامضة، فقد اكتشف فيها وبوساطتها أشعة «إكس»، وإن من العسير أن نذكر نصف المدهشات التى تأتت من هذه الأنبوبة العجيبة ...

إننا نعيش كل يوم على المواهب الباهرة التى قدمها لنا «هنرى كاندنديش» الذى اكتشف غاز الايدروجين ، وجوزيف بريستلى الذى اكتشف الأكسجين، والكيماوي الفرنسى لفوازييه الذى علمنا وظيفة التنفس ... ولكننا قلما نفكر فى الأحلام الطويلة التى استرسل فيها جميع أولئك الفطاحل ، ولعلنا ننسى أن بريستلى فر إلى أمريكا قانعاً من الغنيمة بالسلامة فى سبيل كرازته عن الأكسجين ، وأن الفرنسيين قضوا على حياة

لفوازييه بحد المقصلة الجهنمية مجاهرين بأن الجمهورية ليست فى حاجة إلى جمهرة الكيمائيين، وأن العدل يجب أن يأخذ مجراه

إن هذه الفيافى التى نجوس خلالها مترامية الأطراف وعرة المسالك ولكنها عظيمة حقاً لأن رجالاً مجدودين عظماء قد عبدوها وأخضعوها لسلطاننا حباً فى العلم والعرفان ، لا طمعاً فى الربح والكسب :

مقاديم وصالون فى الروع خطوهم ... بكل رقيق الشفرتين يمانى
إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم ... لأية حال أم بأى مكان

على أن هذا لم يكن قصارى جهدهم فان أولئك الناس الذين كانوا ينهضون للعمل مبكرين ويمضون متأخرين ليكتسبوا من الطبيعة أدق أسرارها وغوامضها ويستغلون أعظم قوى اقتدارها من أصغر الذريات الكائنة ، قد رصدوا ساعاتهم للكد دون أن يعرفوا طعماً للراحة؛ وكانوا إذا تمت المعجزة على أيديهم وتمكنوا من استخدام الجوهر الفرد فى هد الرواسى وزلزلة الجبال وفى إفادة العالم — الذى يكونون جزءاً غير منظور منه — يقدمون هذه المعجزة دون قيد ولا شرط، ويطلعونها عليه طلوع الشمس التى تحفظ الحياة على الأرض . ونحن جميعاً نجنى ثمراته ونتقاسمها دون أن نبذل فى سبيل الحصول عليها فلساً واحداً . وهكذا تتتابع فصول تلك القصة العجيبة التى بدأت مذ شرقت أول شعاعة من شعاعات العلم والمحبة تبدد الظلمات الداجية والأطماع الأشعبية من العقل المجبى والفكر المتوحش القاسى . وإننا لن نجد ما يتلو علينا فصول تلك القصة مراراً وتكراراً، بل إن أفصح من ذلك الذى تحدثنا به تواريخ الطب والجراحة الفائقة عطفاً وحباً ورحمة . فما من مصل مما يستعمل لشفاء الأمراض إلا وينتمى إلى ذلك المصل الواقى الذى منحه للعالم بسخاء دكتور جنر لحمايتنا من تبريح الجدرى . ولا تجرى عملية عظيمة على يد أحد الجراحين اليوم إلا ونجد الجراح والمريض يلهجان بحمد المزة الالهية من أجل جيمس سمبسون الذى جعل القيام بالعمليات الجراحية الخطيرة ممكناً ميسوراً بفضل اكتشافه جواهر المخدرات التى تفقد الاحساس بالألم . أما لويس باستور الذى علم الناس التحرز من المرض بالتعقيم وحفظ الأغذية والسوائل العضوية بالتعقيم فلم يتقاض على جهوده غير الثناء والشكران . وجاء جوزيف لستر واتبع أفكار باستور واستخدمها فى محو الألم ودرء السموم عن الأجسام فكان عدد الذين أنقذهم من الموت أكثر من الذين أبادهم نابليون، وضفر لستر من أكاليل المجد فوق ما ضفرته الحرب لأعظم أبطالها الظافرين . وقضى حياته وهو يكد ويحلم ويحقق حلمه، وبفضله أصبح ميسوراً للجراحة اليوم القيام بكافة صنوف العمليات وأصبح الطبيب القادر على أداء تلك العمليات يفاخر بما أسدته إليه طريقة لستر من تفادى التسمم بل أصبح ينشرها للملأ فيكبر لها مشاهير الجراحين وينهل من فيضها جماعة الطلاب المتعطشين ويجعلونها قبلة أنظارهم

وأحسن وجه فى الورى وجه محسن
وأيمن كف فيهم كف منعم

ولقد كان لستر يتقاضى مبلغ خمسمائة جنيه من موسر يجرى له إحدى عملياته ، أما الأجر الذى كان يتقاضاه من فقير لاجئ إلى أحد المستشفيات الخيرية فلم يكن يتعدى عبارة «أشكرك ياسيدى» تتدحرج على شفتى ذلك البائس بصوت مختنق متهدج ؛ وكان الرجل العظيم يعود إلى بيته بقلب يطفح شكراً لله تعالى الذى آتاه القدرة على تخفيف بلاء الصعاليك

وإذا الرجال تصرفت أهواؤها ... فهواه لحظة سائل أو آمل
ويكاد من فرط السخاء بنانه ... حب العطاء يقول هل من سائل

بيد أن ظواهر هذا البذل الانسانى العظيم لا تقف عند هذا الحد لأن أولئك الرجال الذين يمسحون عنا أمراضنا لا يترددون فى الخطار بحياتهم دون ريث ولا إمهال

مسترسلين إلى الحتوف كأنما ... بين الحتوف وبينهم أرحام
آساد موت مخدرات مالها ... بين الصوارم والقنا آجام

ولا يوجد علاج لأى مرض من أمراض المنطقة الحارة إلا وقد ابتاعوه لنا بأعمارهم الغالية وأنفاسهم الثمينة ، فكان الواحد منهم يجرب علاجه فى جسمه قبل أن يجربه فى مريض . وتاريخ الطب حافل بآيات الشجاعة والولاء والبطولة التى لا تقل عما تفيض به أخبار أعظم الفاتحين

بل إننا حين نذهب بحديثنا إلى عصرنا الحالى العظيم - عصر

الهندسة العملية وإقامة الجسور والقناطر العجيبة ، وحفر الترع والقنوات المدهشة نجد الحالم من ورائها جميعاً، ونجد السفن تجرى من محيط إلى محيط وادعة مطمئنة فى قناة باناما حين كانت الحياة الانسانية لا تساوى قيمة ربع عشرة أيام لعامل عادى ، ولولا أن رجلاً اسمه رولاند روس جلس يحلم ليلة بعد ليلة من خلال منظاره المكبّر ثم عثر أخيراً على البعوضة التى تحمل جراثيم الموت وأخبر العالم أننا نستطيع أن نهزأ بالحمى الصفراء وبالحمى النافضة (الملاريا) لو فعلنا بهذه البعوضة ما فعله باستور بالطعام وليستر بالجراح لما حصرب رعة بناما . وقد جنى مهندسوها وبناتها أرباحاً طائلة من ورائها، ولكن الرجال الذين ابتدعوها فى أحلامهم ورسموا فكرتها وسموا لتحقيقها لم يأخذوا لأنفسهم شيئاً لأنهم كانوا من ذوى الأحلام وكأن الشريف الرضى كان يعنيهم حين قال

وركب سروا والليل ملق رواقه ... على كل مغبر المطالع قاتم
حدوا عزمات ضاعت الأرض بينها ... فصار سراهم فى ظهور العزائم
تريهم نجوم الليل ما يبتغونه ... على عاتق الشعرى وهام النعائم
وغطى على الأرض الدجى فكأننا ... نفتش عن أعلامها بالمناسم

وهكذا كان الناس يحلمون ويحققون أحلامهم فصيروا عالمنا أجل وأعظم من عالمهم، ومنحوا العالم قوة ليس وراءها مطامع لحالم؛ ولا فوقها منزع لأسية ولا مرتقى لهمة ، وأصبح من الميسور للانسان الآن أن يجعل من هذه الحياة الدنيا فردوساً ينقش فيه صورة جنة الخلد ويفرش عليه محاسن النعيم الأبدى

(الزهرة)

الى شباب القصصيين

كيف احترفت القصة

قصة السيدة ستورم جيمسون

للأستاذ أحمد فتحي

حين كنت في جامعة « كمبردج » عام ١٩١٤ ، تقدمت بأطروحة عن « القصة الحديثة في أوربا » علمت أنهم سيكافئونني عليها بدرجة جامعية أخرى فوق الدرجة التي أنا متقدمة لاحرازها، وكان ذلك مدعاة لسروري بعض السرور في ذلك الحين !

وكنت طوال سني دراستي أعلق آمالي باحترافي التدريس ، وكان الأساتذة يعلمون هذه الآمال ويرعونها . ولست أدري ماذا حدث بعد فراغي من الدراسة ووداعي للجامعة ؟ فقد تنكر عقلي لكل تلك الآمال العريقة ! وانقلب كالوحش وقع وشيكا في الشرك ! وتملكته قوة جامحة غضبى . . . وحين ألتفت إلى الوراء أراني وقد كنت بلهاء صغيرة غير مؤذية ، لا تدري ماذا عساها أن تصنع ، ولا تكاد تتبين سبيلها السوي في الحياة !

وتحت تأثير ظنوني الكبار بضرورات حياة يكفلها رزق ضيق لا تزيد على خمسين شلناً في الأسبوع ، التحقت بنادي القراء ، وكانت لي في تلك الأيام الطويلة فسحة من الوقت أنفقتها في القراءة . ولأول مرة كنت أقرأ وأقرأ غير مدفوعة بإعداد أطروحة للجامعة ! ولقد كان كل شيء أقرأه يتيح لي اجترار بعض ما تختزنه حافظتي . على أن القصص قلما كانت تشبع نوازع نفسي . ولقد تناولت أجزاء كتاب « تاريخ النهضة الايطالية » واحداً فواحداً ، ومشت بينها في تأثر وحبور لا يوصف . وعلى الرغم من جهلي بالقيمة العلمية التي يمتاز بها ذلك الكتاب ، فاني مدينة له بدين لن أقوم بوفائه ما حييت !

وبعد تلك القراءات الكثيرة ، وفي تلك الأيام التي لم أكن أجد فيها الراحة الكافية لاستئناف القراءة ، كنت أكتب وحدي . . . وكذلك بدأت تسجيل فصول قصتي في بطء . وإني لأود الآن أن أستدعي ذكريات حالتي النفسية والعقلية حين بدأت كتابة القصة ، فلست أدري ماذا كان يروق لي أن أصنع ! ومن المحقق أنني لم أكن أتوق إلى تأليف قصة ، ولا ابتكار شخصيات ؛ وفي الكناشة الضخمة — التي أحتفظ بها وحدها —

صفحتان أو ثلاث تحوي مذكرات مبعثرة متناثرة كنت قد وضعتها نواة لقصتي الأولى ؛ وإن معظمها ليبدو لي الآن بلا معنى كما تحوي كذلك مذكرات قصيرة جداً عن شخصيات القصة ؛ التي ألاحظ فيها شيئاً واحداً فريداً ، هو أنني لم أكن قد وضعت لها فكرة تامة شاملة . . . على أن بعض هذه المذكرات كان ينتظم النظريات الحيوية التي كنت أومن بها في ذلك العهد

لا شيء يعشي على تصفح هذه القصة الأولى لأرى كيف ائتلفت من تلك المذكرات المتناثرة فصول كتاب كامل ومن الواضح أن رغبة الطبيعة في أن تجعل مني كاتبة قصصية ، لم تكن أعظم من رغبة الجامعة في أن تجعل مني مدرسة فيها ! فليس في تلك القصة الأولى ثمت فكرة ناضجة ؛ بل بضعة مناظر مترابطة . وليس فيها شخصيات ؛ بل عظام جافة في وادي عقلي لأفكار مجتمعة لي من سني قراءتي السقيمة ، مقتبسة من « العصر الحديث » متذاكرة من أحاديث التلاميذ . ولا أستثني من ذلك سوي نسمات سرت إلى قصتي من سماء الوحي . . . ! إذ حدث أن تحرر ذهني مرة من صلته بأفكار الناس ، متخذاً سبيله بين آمال الحرية الطليقة ، مما سأذكره مفصلاً فيما بعد !

وشبت الحرب فرحت إلى « ليفربول » وكان أن أحكم على الشرك الذي ظننتني قد نجوت من أسره ! إذ تزوجت وغدوت ربة بيت لم أكن أرجع عن بعض أعماله إلا وقد أنجزت كل أجزائه ؛ وبقدر بغضي للخدمة أصبحت أكثر أمانة من أية سيدة يمكن كراؤها لذلك . وما كان في وسعي أن أقرأ أو أكتب في غرفة غير وثيرة إلى أبعد حد ... ! وقد كتبت النصف الباقي من قصتي في فترات الراحة التي كنت أخلو فيها من عناء الأعمال المنزلية كالطبخ والغسل وتنظيف الأثاث وغير ذلك . ولم أكن قد أنجزت هذا النصف الباقي حين وضعت طفلي في منتصف عام ١٩١٥ في « هوبلي » . وبعد ذلك أهملت القصة على ركن من رف ظلت به خمسة شهور في برد من الغبار !

وفي ديسمبر عدت ثانية إلى « هوبلي » ومعي طفلي وقصتي التي ألقمتها حقيبة ثيابي في الدقيقة الأخيرة ساعة الرحيل . إذ خطر لي أنني سأكون في سعة من الوقت تهيئ لي فرصة الكتابة . وكانت الحرب حينذاك مستأثرة بأصدقائي . . . مخيطة كل شيء بالظلام من كل جانب . غير أن ذهني كان صغيراً جداً وكذلك كانت سني ، فلم أكن أتطلع إلى المستقبل بغير آمالي وحدها . . .

سرت عدوى « السعال » من شقيقتي إلى طفلي وهو في شهره السادس . غير أن إصابته لم تكن حادة عنيفة . على أنه كان يستيقظ مرات في الليل ليسعل . وذات ليلة كنت راكعة إلى جوار مهده أعنى به وهو نائم ، وأتلهى بإضافة شيء إلى قصتي . وكنت ساعتئذ أكثر ما أكون تشتت بال ورهافة حس . فحدث أن تمثل لي شاب سميته من قبل « بوسكت » ؛ بلغ من شدة تصوري وجوده أن حسبته حقيقة ماثلة لا خيالاً طارقاً ؛ بل لقد خفت أن يكون من لصوص الليل ، غير أني ما لبثت أن هدأت إلى هدوئه ، فقد بدا لي — هو نفسه — خائفاً ! بوجهه المستدير ، وقسماته الغامضة المعقدة . كما تبينت للوهلة الأولى نواحي ضعفه ، وغير ذلك من طباعه وعاداته ! واتفق أن استيقظ الطفل ليسعل فجأة ؛ فأقبلت عليه وما زلت به أطيب خاطره حتى عاوده النوم ، ثم رجعت إلى رجل خيالي « بوسكت » الذي لم يكن فارق ذهني بعد ... ! وظللت أستوحيه ما أكتب حتى صرخ الألم في ركبتي وأنا راكعة عليهما ؛ وحتى تقاعست عضلات معصمي ، وسرى البرد إلى جسدي فاقتادني راغمة إلى الفراش !

ولم أنجز الكتاب كله في ذلك الحين أيضاً ... ولكني أضفت إليه بعض العبارات في أيامي الأخيرة في «هوبني» . وحدث ذات مساء أن أطفئت الأنوار الكهربائية إيذاناً بغارة جوية من مناطيد « زبلن » . فالتمست في الظلام ورقة صغيرة جعلت أكتب عليها قطعة شعرية من القصة — إلى جانب أمي — على ضوء شمعة ؛ وحين فرغت من نظمها كانت الأنوار قد عادت . فأخذت أقرأ الشعر لأمي ، وأنا شديدة الإيمان بأنه شعر رائع ، وهي تزعم كذلك أني شاعرة مطبوعة !.

وفرغت من الكتاب عام ١٩١٦ في « كترنج » ولا أستطيع الآن أن أستدعي الكثير من الذكريات عن ذلك العهد . غير أني كنت ولم أزل قليلة الفراغ كثيرة المتاعب . وعلى أي حال فقد انتهيت من كتابة القصة ، ثم وقعتها على آلة كتابية عتيقة بالية ، فاستغرق ذلك حيناً ...

وحين رحلت عن « ليفربول » في ربيع ١٩١٧ ، كان معي الكتاب مكتوباً بأحرف الآلة الكاتبة ، بعد أن رفضه أحد الناشرين لدله « دكورث » وقد أرسلته من « ريدنج » إلى ناشر آخر . ومع أن الكتابة القصصية لم تكن تروق لي كثيراً ، فقد لبثت أرتقب ما ذا يقدر لكتابي الأول ، الذي هو محاولتي القصصية الأولى ! وجه إلى المستر « فيشر آنون » الناشر المعروف — الدعوة للقائه ، والحق أنني اضطربت لتلك الدعوة ، وتهيبت ذلك اللقاء . وقبل أن تتم المقابلة آثرت أن أمر بالرجل الذي يقرأ للمستر « آنون » ما يراد نشره ، وقد تلطف الرجل في ورق حديثه ، ولا أحسبه قد أشار علي بإحراق قصتي ! ثم لقيت المستر « آنون » نفسه في غرفة مكتبه الأنيقة . وبعد حديث قصير اقترح علي أن أقدم إليه أعمالي القصصية « الستة » التالية ! وما كان لي غير إقرار هذه الصفقة المقترحة من جانب واحد ! غير أن فكرة كتابة قصة بعد أخرى — بدأت تفزعني . وحين هممت بالانصراف من حضرته شيعني إلى الباب ، كأي جنتلمان مهذب رقيق الحاشية ، وفي اللحظة الأخيرة قدم إلي نسخة من قصة « طريق النسر » مصحوبة بقوله « إني أعطيك هذا الكتاب لتقرئيه ، ولترى كيف ينبغي أن تكتب القصة »

ومضى هذا الحادث عنيفاً . وتركت القصة في مكان لا أذكره ، وافتقدتها فلم أعثر عليها إلا بعد حين ، فأرسلتها إلى دار « كونستبل » للنشر ، وكنت في بعض ريف « هامشتر » حينذاك .

وتلقيت من « كونستبل » أنهم راضون عن القصة ، راغبون في لقاء المؤلفة ، بيد أني كنت قد زهدت في هذا اللقاء ، بعد ما حدث في لقائي للناشر السابق الذي أراد أن يعطيني درساً في الفن على يدي بعض كتبه ! ومن الجهة الأخرى — لم أكن أود إنفاق أجر السكة الحديدية في سفرات لا أريدها ! وكذلك كتبت إلى « كونستبل » أستفهم عما إذا كانوا جادين في رغبتهم نشر قصتي ؟

وأعتقد أنني سررت حين علمت أن كتابي سيطبع وينشر حقاً ! والواقع أني لا أكاد أذكر شيئاً من ذلك ، ولكني أرجح أني تلقيت الأمر في قلة اكتراث . وإن ذاكرتي لتختزن القليل من مشهد جلوسي في غرفة بمنزل « ميخائيل سادلر » في لندن ، وإني لأتصور الغرفة الآن وطولها ميل أو أكثر ، كما أتصورني وأنا أعبر طولها ذاك حابية على كفي وركبتي ! . وبعد أن تناولنا الطعام تناولت قلمي فأجريته فوق بعض عبارات من القصة زعم صاحبنا أنها غير ملائمة . ولقد ساعد على اقتناعي برأيه السيء فيها زهدي في احتراف القصة . كما أني تركته يستبعد كلمات من العنوان نفسه

وبعد أن تم التعاقد بيني وبين دار « كونستبل » للنشر بأسابيع فجأتني حاجة عنيفة إلى المال ، فكتبت إليهم أطلب نقوداً . في حين أني لم أكن أعلم ماذا صنعوا بعد إتمام التعاقد؟ غير أنني كنت متأثرة بإحساس باطني جديد يخيل إلي أن تصرفي ذاك لم يكن أكثر من مشاكسة لا بأس بها ! ثم إني قلت لنفسي

إنهم قبلوا نشر كتابي ... ولا بد أن يكون شيئاً ما ؟ . ولم يكن يتطرق إلى ذهني أن قبول نشر هذا الكتاب لم يكن أكثر من رغبة من الناشر في مساعدتي ! . .

وإن أي إنسان يتوهم أن الناشرين – عدا واحد أو اثنين – قوم غلاظ القلوب — لخليق أن ينكس رأسه خجلاً ، فقد تلقيت بعد خطابي عشرة جنيهات ، ومعنى ذلك أن دار « كونستيبل » للنشر قد زادت خسارتها مقدار هذه الجنيهات العشرة !!

وظهرت القصة في أوائل عام ١٩١٩ ، وعبثاً أحاول تذكر شعوري في ذلك الحين ، وأنا شابة صغيرة السن خاملة الذكر . وكل ما أذكره أنني لم أصادف في الأيام الأولى بعد ظهورها أحداً من الأصدقاء أستطيع التحدث إليه في شأنها . ولعل هذا لم يكن يعنيني كثيراً . . .

ولم يسرني كثيراً – في جهالتي – أن الصحافة قد احتفت بقصتي الأولى . وهي على أي حال لم تظفر بإطراء مسرف . ولكنها لقيت اهتماماً ملحوظاً . ولقد احتفظت حيناً طويلاً بما كتب بين المدح والقدح ؛ احتفظت بهذه الكتابات أربع سنين أو خمساً ، في حين أنني كنت أحرق كل شيء من الخطابات والصحف وسواها ، وكذلك أصنع الآن ، غير أنه يندر أن أحفل بما تكتبه الصحف عني وعن كتبي . ولن أترك بعد موتي قدراً كبيراً من الأوراق ، فإني أمزق خطاباتي بعد تحرير جوابها إلى أصحابها ، كما أمزق المذكرات التي أضعها لموضوعات كتبي ، وكذلك أصنع بمفكراتي الخاصة . كما أني أميط كل أثر لي عن وجه هذه الأرض التي سوف أرحل عنها جِدّ آسفة ....!!

ومن المحقق أنه يكون من بواعث ارتياحي أن أحرق كل نسخة أعثر بها من قصتي الأولى هذه ، وقد نسيت أن أذكر أن اسمها كان « الوعاء يغلي » . . . ومن دواعي اغتباطي أنني موقنة من أنها لم تكن عملاً أدبياً يستحق أن يباع للقراء ؛ ومن حسن الحظ أن حقوق الطبع بيدي ، فلن يتاح لهذه القصة أن يعاد طبعها أبداً ... إلا إذا عقدت مسابقة في أردأ القصص ؛ والحق أنها كانت رديئة إلى حد لا يصدقه إنسان . ولكنها قد لا تكون أردأ ما كتبت أنا ؛ وإن رداءتها المنقطعة النظير لتثبت أني لم أكن أبداً قصصية موهوبة . ولكن فيها درساً لا ينساه كاتب مبتدئ . لم ينشأ في أسرة يتكنفها جو أدبي . فلم يكن بجواري حين كنت أكتب قصتي الأولى إنسان واحد يحبوني بنصح أو تحذير . كذلك لم يكن لي من ذوق طبيعي في الأدب ، غير أنه كان بي جوع شديد إلى المعرفة ، شجع فيّ أشنع أغلاطي كمؤلفة !..

كان رأسي بمثابة « الخلية » تضم « عسل » الرجال الآخرين . وكانت العلة في ذلك هي تلك البرامج الجامعية التي تنتهي بمثلي إلى نيل درجة علمية في اللغة وآدابها . فلقد لبثت ثلاث سنوات أقرأ وأقرأ وأقرأ ... من غير تمييز ؛ ومن غير أن أجد جواً صالحاً لكي أنضج بما استوعبت في قراءاتي المتعاقبة . وخلفت الجامعة بذهني تعصف به الأصداء ؛ من غير أن تهذب ملكة النقد الطبيعية في ذهني . والحقيقة أن كاتباً موهوباً لم يكن ليستطيع أن ينتج بمثل ما قدر لي من سهولة الانتاج ؛ فإن لي لمقدرة على التفكير المنظم والصبر ؛ ولكنها مقدرة قصيرة النظر ؛ تذكرني دائماً بحصان ركبته مرة واحدة في حياتي ، إحدى عينيه تالفة ، ويتوهم أنه يستطيع اجتياز أي حاجز !!

وبالرغم من نسياني كل شيء عن قصتي الأولى يخيل إلى أنه كانت تبدو فيها مهارة فنية خشنة غير صقيلة ؛ كانت لي في تلك الأيام ولم يتناولها أحد من الناشرين أو الصحافيين بحسبان أنها كتاب «شاب» ناشئ ، مما يجعلني أعتقد أنها كانت عملاً ضئيلاً جداً ، لا يمكن أن يجد مثله اليوم سبيلاً إلى النشر . ولو أن ناشراً أخرجه للناس لما لقي شيئاً من عناية النقد ولا التفات الصحافة

على أن الكاتب المبتدئ الآن قد أصبح عليه أن يقتحم ميداناً شديد الزحام ؛ يكون حسن الحظ لو لم يختنق فيه بعد بضع دقائق !. فإذا وفق إلى استرعاء الأنظار كان خليقاً أن يأمل في نقد ينتفع ببعضه . وهذا الزحام الشديد لا يمكن أن ينكره كاتب ناشئ قليل الأنصار . وإن خير آماله ليجب أن يعقد بعقد صداقات نافعة في الجو الأدبي بأسرع ما يستطيع . فمثل هذه الصداقات خليق أن ينقذه من إضاعة وقته سدى مشتغلا بكتابة قصة لا يبلغ من أمرها أكثر من أن يسمح لأجلها بضع كلمات تافهة تلقى بعدها وهي ترسب آخر الأمر . ومتى علم ذلك الكاتب الناشئ كان جديراً ألا يرفض المشورة بعقد مثل هذه الصداقات محتجاً أن فيها تجنياً على روحه الفني ووقته . وعليه أن يذكر

دائماً أنه ينبغي له اختيار أشأل الضررين ... ! ولقد أصبح رزق مثله في ذلك الميدان وكثير غيره ، أعسر مما أتيح لى منذ عشرين سنة ... كسب المال غداً أقل يسراً مما كان عليه فى ذلك الحين .

ومع هذا فماذا ربحت ؟ عشرة جنيهات فى مقابل عمل ثلاث سنين !

بل إن هذا المبلغ لم أكسبه بالطريق العادي فى الواقع ...

وإنى لآسفة حتى الآن على أنى لم أحترف التدريس !

ستورم جيمس

شجـــــرة الذكرى

للأستاذ محمود الخفيف

وَيْحَ مَن شَجَّت يداه الشجَرَه ... وطوت أغصانَها المزدهرَه

ويح من أهوى بفأس لا تنى ... تَرَكتْ أشلاءَها منتثرَه

قَطَعَتْها سَرْحةً طَيِّبَةً ... تَبْسُطُ الظلَّ وتؤتى الثَّمرَه

* * *

جئتُ والصيفُ يلى أعقبه ... ويَدُ الذَّنيب تُفْنِى أثرَه

والخريفُ السَّمْحُ فى أعقابه ... يَتَقَصَّى فى هُدُوء خَبَرَه

يَسْألُ القَرْيَةَ عما ادَّخَرَت ... لليالى المُرَّة المُعْتَكِرَه

لا يَرَى غَيْرَ فُتورٍ سابِغٍ ... فى نواحيها وَصَمْتٍ حَيِّرَه

أتُراها لَمَحَتْ فى بُرْدِه ... شَبَحًا للكُدْرَة المُنتظرَه ؟

أم تُرَى أَذْهَلَهَا ما مَسَّها ... من لظًى كانَتْ بها مُستعِرَه ؟

* * *

جئتُ كالحاجِّ وفى مُهْجَتِهِ ... فَرْحَةُ الناسكِ يقضِى وَطَرَه

طفْتُ بالقرية من أركانها ... كل حُسْنٍ أَجْتَلِى صُوَرَه

أتَقَرَّى أينما سِرْتُ يَدَ الدَّهْـ ... ـرِ وأحصى من قريبٍ غِيَرَه

كُلَّما أبْصَرَ طَرْفِى لِلْبِلَى ... أثرًا دبَّ إليها كَدَّرَه

وإذا أبْصَرَ فيهَا طارِفاً ... زادهُ العَيْشُ عليها أنكَرَه !

كُلُّ مَا غَـيَّرَ من صُورَتِهَا ... كَمْ تَمَنَّى عِنْدَهُ لو لم يَرَه !

* * *

مِلْتُ لِلْبُسْتَانِ فى أطرافها ... مَلْعَبٌ ما كان أحلى مَنْظَرَه

فَتَوَقَّفْتُ لَدَى مَدْخَلِهِ ... وتَلَفَّتُّ أُعِدُّ الشَّجَرَه

لم أجِدْ غيرَ فَضَاءٍ بَاقِرٍ ... وَبَقَايَا أغصُنٍ مُنْتَثِرَه

شَدَّ ما أوْجَعَ نَفْسِى أن أرى ... ذلك المنظرَ أو أن أذْكُرَه

مَنْظَرٌ يعْرِف ما يَبْعَثُهُ ... من أَسًى كُلُّ فؤادٍ خَبَرَه

طاف بالبستان مِنهُ وَحْشَةٌ ... فَتَرَى الدَّوْحَ عَلَيها غَبَرَه

وترى الأ[illegible] فى أنحائه ... ساهِمَاتٍ [illegible] غَيَّرَه !

* * *

سَرْحَةٌ كُنَّا نرى أيَّامَنَا ... من جديدٍ عندها مُخْضَوْضِرَه

ولقد كنتُ إذا ما جِئْتُها ... عَادَ من عُمْرِىَ سِنُّ العَشَرَه

رُحْتُ ألْقانِى لديها نَاشِئاً ... لا يرى فى العيش إلا زَهَرَه

يَعْشَقُ الرِّيفَ ويهوى شَمْسَه ... ويُناجِى فى اللَّيالى قَمَرَه

إبن عشر تضحك الدنيا له ... ليتـه لم يتجاوز صِغَرَه

* * *

هذه الدوحة كانت مُلتقًى ... ومَقِيلاً للصحاب البَرَرَه

كم جَعَلْنَا عندها موعِدَنا ... وزمانُ اللهو يُزْجِى زُمَرَه

فَنَهَلْنَا الوُدَّ عَذْبًا صافيًا ... لم يَشُبْهُ عَنَتٌ أو أثَرَه

زَمَنٌ قد أدْبَرَت أَنْعُمُهُ ... هذه السَّرْحَةُ كانت مَظْهَرَه

لستُ كَنِّى جنانى عندها ... وتَبَدَّت مُقْلَتِى مُسْتَعْبِرَه

وَكَأنِّى صَاحِبِى مُسْتَنْكِرًا ... وفؤادى مُنْكِرٌ أن يَزْجُرَه !

* * *

كُلُّ مَوْتٍ يتراءى لبنى المو ... ت ترى الأعْيُنُ فِيهِ نُذُرَه

تَلْمَحُ الأنفُسُ فى غمْغَمَتِهِ ... يَدَهُ القابِضَةَ المُقْتَدِرَه

والذى تألَمُهُ نَفْسُ الفتى ... يَحْسَبُ النَّاقِصَ فِيهِ عُمُرَه

محمود الخفيف

من وحي العيد

آخر الأناشيد

للأستاذ أحمد فتحي

طابَ لِي الزُّهْدُ فابْخَلِي أو فَجُودِي
لا أُبالِي بالوَصْـــلِ أو بالصُّدُودِ

قد تبرّأتُ من حَمَاقَةِ عُمْرٍ...   ضاعَ بينَ السَّقامِ والتّسْهِيدِ
وأسَتْ جُرْحِيَ الليالِي وأضحكـ   ـتُ ـ كما تُبْصِرِينَ ـ جِدَّ سَعِيدِ
ضَاحِكاً للحياةِ ، أهزأ بالأحْـ   ـزانِ، في عَزْمَةٍ، وبأسٍ شَدِيدِ
نَاعِمَ البالِ ، راضِياً بِخَلَاصِي   مِنْ فُتُونِ الهوى وأسْرِ القُيُودِ
أتَغَنَّى كالطَّيْرِ ، أملأُ دُنْيَا   يَ ، بألحانِ صَادحٍ غِرِّيدِ !

ليسَ بالطَّارِقِ خَيَالُكِ إنْ أغْـ
ـفَيْتَ بُقْيَى عن ناظِرَيَّ هُجُودِي

لا، ولا عائِدِي من الشَّوْقِ طيفٌ   يُلْهِبُ الحُبَّ في فؤادي العَمِيدِ !

قد مَضَى الحبُّ ؛ وانطَلَقْتُ من الأَسْـ
ـرِ لِظِلِّ الطَّلاقَةِ المَمْدُودِ !

دُونَ الرّاحةُ التي كنتُ أرْجُو   نِعَمٌ من رَاحَةٍ ؛ وعَيْشٍ رَغِيدِ
يا فتاتِي : لقد صَحَا بعدَ ما أسْـ   ـقَيْتِهِ مِنْ سُلَافَةِ العُنْقُودِ
ذَلكَ القلبُ ؛ لم يَعُدْ لكِ سُلْطَا   نٌ عليهِ ، فَلْتَبْخَلِي، أو فَجُودِي !
أنصِتِي، لو وَعَيْتِ رَجْعَ نَشِيدِي   أنا شَادِيكِ في غَدَاةِ العِيدِ
لا تُشِيحِي عَنِّي بِوَجْهِكِ حَتَّى   تأخُذِي من فَمِي حديثَ الخُلُودِ
الأمَانِي ... أحَبُّها في بيَانِي   والتّحايا أرَقُّها تَغْرِيدِي !
وأنا الكافِلُ الخُلُودَ لِحُسْنٍ   عَبْقَرِيٍّ من مُقْلَتَيْنِ وَجِيدِ
رُبَّما رَجَّعَ الزَّمَانُ قَوَافِيَّ   م وأصغَتْ آذانُهُ لِنَشِيدِي !

أنا شادِيكِ في غَدَاةِ العِيـــــد
فاسْمَعِي حِكْمَةَ الجَوَى واسْتَعِيدِي

أنتِ أطْفَأْتِ جَذْوَةَ الحُبِّ إذْ أحْـ   ـبَبْتِ تذْكِينَ نَارَهَا بالصُّدُودِ
لا يَرُوعَنَّكِ التَّجَنُّبُ مِنِّي...   والتَّقَلِّي بعد فَرْطِ شَوْقٍ أكيدِ
غَايَةُ الشَّوْقِ سَلْوَةٌ واصطبارٌ   وكذا النارُ أمْرُهَا للخُمُودِ

وكأيّامِنا ... تَحُولُ وَشِيكاً ...   بِيضُها تِيكَ بعدَ تلكَ السُّودِ
حِكْمَةُ اللهِ لا دَوَامَ لِحَالٍ ...   من نُحُوسٍ في الحظِّ، أو من سُعُودِ
ولكِ الصَّبْرُ يا فتاتِي ، ولِي مِنْـ   ـهُ كِفَاءُ المُؤَمِّلِ المُسْتَزِيدِ

جَانِبِي الوَجْدَ ، وامْرَحِي من جَدِيدِ
وإلى البِشْرِ والتّفاؤُلِ عُـــودِي

وابْسِمِي يَبْتَسِمْ لكِ الزّمَنُ الجَهْـ   ـمُ، ويَغْشَى الحُبُورُ وَجْهَ الوُجُودِ
واغْنَمِي صَفْوَهُ وقد جاءَ يَسْعَى   عِيدُ آمالِكِ الحِسَانِ ، وعِيدِي

وانشُدِي في الأنامِ « قَيْساً » جديداً
عَلَّ أنْ تَبْعَثِي الهوى من جَدِيدِ

ما تزالِينَ من شبابِكِ في غَضٍّ   م رَبِيعٍ ، يَحْكِيهِ غَمْرُ الوُرُودِ
لا تُضِيعِيهِ في ابْتِئَاسٍ وَوَجْدٍ   آفَةُ الحُسْنِ لَوْعَةُ التّنْكِيدِ
أو تُبالِي هوايَ حِينَ تَقَضَّى   فَهَوَاكِ الخَلِيقُ بالتّجْدِيدِ !

يا ليالي غَرَامِها : لا تَعُودِي !
قَدْ حَنَى الدَّهْرُ بالتّجارِبِ عُودِي

لا رَعَى اللهُ من زَمانٍ تَقَضَّى   في كِذابِ المُنَى وخُلْفِ الوُعُودِ
قد أقَرَّ السُّلُوُّ عَيْنَيَّ وأرْتَا   حَ فُؤَادُ المُعَذَّبِ المَعْمُودِ

فِيمَ أُذْوِي الشّبابَ بالدَّمْعِ والسُّهْـ
ـدِ وأرْضَى في الحُبِّ طولَ الجُحُودِ ؟

إنّما الحُسْنُ فِتْنَةٌ تتبَدَّى   تَخْلِسُ اللُّبَّ من حكيمٍ رَشِيدِ
وضَلالُ الهوى اضطرابٌ من الفِطْـ   ـنَةِ بينَ التّرْغِيبِ والتّزْهِيدِ
وسُمُوُّ الأرْوَاحِ فَضْلٌ من اللهِ   م وَوَحْيٌ من العزيزِ الحَمِيدِ !
حَبَّذا العُمْرُ في زَهَادَةِ نَفْسٍ   عَزَفَتْ بِي عن كُلِّ حسناءَ رُودِ !

احمد فتحي

مصرع قصيدة ... !

للأستاذ سيد قطب

أحسست مصرعها بنفسى   بين التأوه والتأسى
وسمعت حشرجة الجريح   تئن فى أطواء حسى
هى من بنات الشعر لم   تولد ، ولم توأد لوكس !



المركزية فى التأليف

فى الجامعة وفى وزارة المعارف (شركات) للتأليف ، تفرض مؤلفاتها فرضاً على الوزارة وعلى المدارس وعلى التلاميذ . وهذه الشركات قد بلغت من السلطان والثقة بالنفس والحرص على الغلبة بحيث صارت مناهج التعليم موكولة إليها تغير فيها وتبدل ، وتمحو وتثبت ، وتنقض وتبرم ، وبحيث قد أغراها ما أغرى على أن تتعارك وتتصارع وتتوسل بوسائلها لتضمن كل (شركة) لنفسها الغلبة على ما دونها من شركات التأليف والاحتكار ؟

وأولى هذه الشركات هى شركة الجامعة ؛ وثمة شركتان أخريان فى مكتب تفتيش اللغة العربية فى وزارة المعارف . وقد بلغ من تنافس هذه الشركات فى التأليف ما نسجل مظاهره فيما يأتى :

١ — وضعت لجنة تيسير قواعد اللغة العربية — وأعضاؤها من شركة الجامعة للنشر والتأليف ، منهجاً جديداً للبلاغة في السنة التوجيهية ، يقوم على أسس وأصول لا نعرفها من قواعد البلاغة . وإذا كان هذا المنهج جديداً في موضوعه على التلاميذ وعلى المعلمين جميعاً ، كان لا بد من كتاب ولا بد من مؤلِّف ... ونشطت (شركة الجامعة) لمهمتها ؛ ولكن نبأ جاءها أن إحدى الشركتين فى مكتب التفتيش تعمل ناشطة لاخراج الكتاب المرجو في وقت قريب لا تستطيع لجنة الجامعة أن تسبق إليه ؛ ولكن حرص الجامعة على أن يكون كتابها أسبق ظهوراً ، قد ألهم أساتذة الجامعة خطة ، فأصدروا قرارهم بوقف العمل بهذا المنهج حتى تفرغ الجامعة من إصدار كتابها . ومضى شهران من السنة الدراسية قبل أن يعلم التلاميذ والمعلمون فى السنة التوجيهية أن المنهج الذى أعدوا له ودرسوا منه قدراً ما قد وقف العمل به ..

٢ — وللسنة التوجيهية منهج فى الأدب وضعته كلية الآداب ، وألف له فيمن ألف اثنان من خيرة المعلمين فى وزارة المعارف . وراج كتابهما منذ العام الماضى رواجاً أغرى إحدي الشركتين فى مكتب التفتيش على مشاركتهما فى ثمراته؛ فصدرت منه الطبعة الثانية منذ قريب وعلى غلافها اسم صاحب العزة المفتش الأول إلى أسماء كثيرة منها المؤلف ومنها صاحب التوقيع ...

وكانت شركة الجامعة تعمل عملها لاصدار كتاب فى الأدب التوجيهى حين جاءها النبأ بصدد كتاب المفتش الأول وزملائه ، فسعى ساعيها إلى وزارة المعارف يستعديها على (شركة مكتب التفتيش) . وفى اليوم التالي كان كتاب سرى من وزارة المعارف على مكاتب نظار المدارس جميعاً يمنعهم استعمال كتاب المفتش الأول ويتوعدهم بأقسى العقاب !

جاشت لفاتنة على الشطآ   ن ذات رضا وأنس
نضجت محاسنها كما   نضجت قطوف جَنَّى بغرس
وحسبتها صينت على الـ   أنظار من قطف ومس
فهممت أدعوها دعا   ء الفن فى خطرات همس
شعرًا يسجل حسنها   للكون فى أحناء طرس
وإذا الأيادى القاطفا   ت تمرّ فى عبث وبخس!
يا ويل قطاف الـ   ل بغير ما ورع ونطس
يبنا نحوم عليه فى   تقوى كما نزنو لقدس !

* * *

وإذا التى جاشت بنفسى   تثوى مضرجة بحسى !

« حلوان »   سيد قطب

واحتج التلاميذ ، واحتج المعلمون ؛ وحق لهم أن يحتجوا ما داموا لا يجدون أمامهم كتاباً في منهج الأدب التوجيهي غير الكتاب الذى يحمل اسم المفتش الأول . ولكن شركة الجامعة التى تحرص على الغلبة فى هذا التناقض العجيب قد التمست لذلك وسيلة قريبة ، فأشارت بأن يوزع كل ما طبع من كتابها على التلاميذ قبل تمامه ملزمة ملزمة ، وحسب المطبعة أن تسبق التلاميذ بدرس واحد ما دام هذا يحقق الغاية ويفوت على شركة مكتب التفتيش حق الانتفاع بالكتاب الذى ظنت بإصداره أنها ستستأثر بالسوق . .

هذان مثلان حسبنا ان نذكرهما باختصار وبلا تعليق ؛ ولا نظن الفضوليين بعد ذلك يلحون فى السؤال : لماذا تتغير مناهج التعليم بين عام وعام قبل أن تظهر ثمرة التجربة فى منهج من هذه المناهج ؟ فعل لهم فى هذين المثلين جواباً لما يسألون !

(م . ا)

اللغة العربية فى مدارس إيطاليا

أبدت الحكومة الايطالية أخيراً رغبتها فى إدخال اللغة العربية بين برامج التدريس فى معاهدها بايطاليا ، فاتصلت ببعض الجهات الرسمية فى مصر وطلبت إليها إمدادها بالمدرسين الفنيين وموافاتها بالمنهج الذى تقترحه . وقد أبدت هذه الجهات رغبتها فى إجابة هذا الطلب ، غير أنها ترى إرجاء ذلك إلى العام المقبل ، نظرا إلى ابتداء العام الدراسى الحالى فى مصر

ويؤخذ من البيانات الخاصة بهذا الموضوع أن الحكومة الايطالية شرعت فى تدريس اللغة العربية فى مدارسها تحت إشراف بعض المستشرقين الايطاليين . وقد طلبت إلى الحكومة المصرية ، فى الوقت نفسه ، تقوية التعاون الثقافى بين البلدين واقترحت لذلك أن توفد أستاذا ليقوم بتدريس اللغة الايطالية فى كلية الآداب المصرية على أن يتقاضى مرتبه من حكومة بلاده ، غير أن جامعة فؤاد الأول أبدت للحكومة الايطالية شكرها على ذلك ، معتذرة من عدم إمكانها إجابة هذه الرغبة ، فى الوقت الحاضر ، لأن اللغة الايطالية غير مقررة فى مناهج الدراسة بكلية الآداب ؛ ولأن أمر تقرير دراستها يرجع إلى مجلسى الكلية والجامعة . ثم ذكرت أنها ستعرض الموضوع على هذين المجلسين لاتخاذ قرار فيه .

الثقافة فى خدمة السياسة

نشرت الصحف خبراً قد يبدو بريئاً فى مظهره ، ولكنه يحمل بين سطوره نتائج سياسية خطيرة . ذلك هو الخبر الخاص بالجهود التى أخذت تبذلها إيطاليا فى سبيل توثيق العلاقات الثقافية بين مصر وإيطاليا خصوصاً فى ميدان التعليم . .

وبديهى أننا نتمنى مخلصين إيجاد تعاون فكرى وثيق بين جميع بلاد العالم . فمثل هذا العمل إذا تم بين الأمم ، سيساعد بلا شك على إزالة أسباب الخلاف وسوء التفاهم التى أحدثت وهناً ظاهرا فى الروابط التى تربط بلاد العالم بعضها ببعض . ولكن فيما يختص بإيطاليا ، لا يسعنا إلا أن نحترس ونتحفظ . ومما يبرر موقف التحفظ الذى نقفه أن كل ما يحدث فى إيطاليا من الأمور خاضع للسياسة ، حتى العلم والأدب . والمعروف أن السياسة الايطالية ترمى إلى غزو الشرق وإعادة الأمبراطورية الرومانية ، بعد إخضاع الشعوب الشرقية واستعبادها . وما اقتراح إيطاليا إرسال مدرسين لتعليم اللغة الايطالية فى المدارس المصرية على حسابها الخاص ، إلا مظهر من مظاهر هذه السياسة ووسيلة من شتى الوسائل التى تستخدمها الدعاية الايطالية لتمهيد الطريق أمام السياسة الفاشية .

لقد ازدادت الأمور تحرجاً منذ قررت الحكومة الايطالية تحويل لوبيا إلى ولاية إيطالية بحتة ، وطرد أهلها العرب إلى قفار الصحراء ، ليحل محلهم خمسة ملايين من الايطاليين . وما هذه الاقتراحات الايطالية الخاصة بالثقافة إلا وسيلة لتخفيف وطأة الأثر السيء الذى أحدثته فى نفوسنا مطامع إيطاليا فى الشرق

مبادلات ثقافية ! فليكن . ولكننا لا نسمح بحال أن تكون تلك المبادلات الثقافية شركاً للمطامع السياسية

(ع . ع)

دار العلوم وكلية اللغة العربية

نشرت الرسالة (العدد ٢٨١) فى البريد الأدبى كلمة بهذا العنوان تضمنت استنكار الخصومة بين المعهدين من أجل مناصب التدريس فى المدارس، والاشارة بأن تسوى الحكومة بين خريجى المعهدين فى هــذه الوظائف . والواقع أن دار العلوم فى مستقرها الطبيعى، ومحاولة المنافسة آتية من جهة الأزهر، فليس من الحق أن يطالب الأزهريون بالتدريس فى المدارس، فى حين لم يطلب أبناء دار العلوم بوظائف التدريس فى الأزهر . وليس من المساواة الحقيقية أن يعين الأزهريون فى وظائف التدريس بالمدارس دون أن يعين أبناء دار العلوم فى وظائف التدريس بالأزهر. هذا إلى أن الأزهر يولى بعض المدرسين من غير علمائه مهمة تدريس العلوم الحديثة بمعاهده ويهمل أبناء دار العلوم وهم أجدر بها

على أن دار العلوم فى عهدها الجديد تنفرد من بين جميع معاهد التعليم بدراسة اللغات الأجنبية والسامية وآدابها، إلى جانب الدراسة المستفيضة للغة العربية وأدبها، وهذه الدراسة لها أثرها فى خدمة العربية وإسباغ الجدة عليها وتجلية آدابها وتبرئتها من الجمود

وعلى أن دار العلوم أحد معهدى التربية اللذين تنظمهما وزارة المعارف لاعداد المعلم الفنى وتبذل الأموال والجهود لتوفير أساليب التربية الحديثة فيهما، وجعلهما البيئة الصالحة لاعداد المعلم الذى تتطلبه حاجة الأمة فى نهضتها التربوية . فأن تجاوز الوزارة المعلم الذى تنشئه على عينها وتسنده لمهمة خاصة إلى غيره ليس من حسن تصريف الأمور وإقرارها فى قرارها . ووزارة المعارف اليوم جادة فى وضع الأسس الثابتة للتعليم، وقد بدأت هــذه الأسس بتنظيم دار العلوم ومعهد التربية. إذ عليهما يقوم كل بناء فى التعليم

(ع . ح . خ)

البحوث العلمية فى البحر الأبيض المتوسط

عقدت اللجنة الدولية للبحوث العلمية فى البحر الأبيض المتوسط اجتماعها السنوى فى باريس ثم أنجزت أعمالها فى اجتماع ثان عقدته فى موناكو برياسة الدكتور جول ريشار مدير متحف الابحاث المائية فى موناكو

وبعد أن تناول الأعضاء بعض المسائل الادارية انتقلوا إلى البحث العلمى فعالجوا مسألة بعض أنواع السمك وتوحيد المناهج لتحليل مياه البحر الأبيض المتوسط والقواعد العلمية لصناعة المأكولات المحفوظة فى ذلك البحر

وقدم رئيس كل وفد بياناً عن الأعمال التى تمت فى بلاده فتكلم الدكتور حسين فوزى مندوب مصر فقال إن المصلحة التى يديرها والتى تبحث فى هذا العلم فى مصر قد أطلق عليها بأمر جلالة الملك فاروق الأول اسم « معهد فؤاد الأول للأحياء المائية وصيد الأسماك » تخليداً لذكرى الراحل العظيم مؤسسها. وقد بسط الدكتور فوزى ما كان من تشجيع جلالة خليفته لهذا المعهد

واقترح الدكتور فوزي وضع الباخرة « مباحث » تحت تصرف البعثة التى ستوفدها اللجنة للقيام ببعض الابحاث فى شرق حوض البحر الأبيض المتوسط وذلك بجميع ضباطها وبحارتها مع اثنين من الاختصاصيين المصريين، وقد تقرر أن تتولى مصر مفاوضة الدول الأخرى التى تريد الاشتراك فى هذه البعثة وذلك قبل الانعقاد القادم للجمعية العمومية للجنة فى مدينة البندقية

مسابقة التأليف

كانت وزارة المعارف قد أعلنت عن مسابقات فى مختلف العلوم والفنون والآداب ، ابتغاء حث رجال التعليم على البحث والدرس والتأليف

وقد بدأت الوزارة تتلقى رسالات فى هذا المضمار

وستبدأ الوزارة فى الشهر القادم فى تأليف لجــان التحكيم لفحص هذه الرسائل توطئة لاعلان النتيجة

جيروم تارو فى الأكاديمية الفرنسية

انتخب المسيو جيروم تارو عضواً فى الأكاديمية الفرنسية فى الدور الأول بأكثرية ١٩ صوتاً ضد ١١ صوتاً نالها المسيو فرنان جريج . وكانت إحدى أوراق الاقتراع بيضاء

وقد ولد جيروم تارو فى ١١ مايو ١٨٧٤ فى سان جونيان بمقاطعة « فسييين العليا » . وقد كان مدرساً لجامعة بودابست ثم انقطع إلى الكتابة والتأليف بالاشتراك مع شقيقه جان تارو . ونال الشقيقان جائزة جونكور سنة ١٩٠٦ لكتابهما « دنجلاى كاتب شهير » . وقاما برحلات كثيرة خصصا لها كثيراً من مؤلفاتهما ومنها: « فى بريطانيا » ، « فى فلسطين » ، « مراكش أو سادة الأطلس » ، « رباط أو الساعات المراكشية » . وقد نال جيروم وجان تارو سنة ١٩١٩ الجائزة الكبرى للآداب



عبقرية الشريف الرضى

تأليف الدكتور زكى مبارك

بقلم الأديب حسن حبشى

الدكتور مبارك من أكثر أدبائنا إنتاجا. لا يكاد يضع القلم من كتاب حتى يتهيأ لتأليف آخر. وهذه ناحية من النشاط محمودة. وإنه ليخيل لقارئ كتب الدكتور زكى أنه يضن بما يضطرم فى نفسه من خواطر، وما يجول فى ذهنه من أفكار وآراء ألاّ يسجلها فى مؤلفات يطالعها الناس؛ ومن هنا كانت كثرة ما كتب، وقد اعترف هو نفسه بذلك فى مؤلفه هذا (ج٢ ص١٩٧) فى الفصل الذى عقده عن حجازيات الشريف

وكتاب (عبقرية الشريف الرضي) والتصوف الاسلامى آخر مطبوعات الدكتور وليسا آخر مؤلفاته، وأحسب أن لن يكون ثم كتاب أخير له حتى لا يكون فى الوجود زكى مبارك

والمترجم له من فطاحل شعراء العربية، وهو مغمور إن قيس بأنداده الذين ذهبوا بالذكر والشهرة، أما الرضى فلم يظفر إلا ببضعة أسطر أو صفحات مبعثرة فى ثنايا الكتب الأدبية، وببعض مقالات نشرت هنا وهناك، وذلك على الرغم من الدور العظيم الذى مثله على مسرح السياسة والأدب فى عصره

تناول الدكتور زكى فى هذا السفر صاحبه الرضى من نواح عدة، إلا فى السياسة فقد مر عليها سريعا، كما ألم ببعض مواقف الشريف وحوادثه، غير أنه كان يعرض أحيانا للرواية دون بحث أو نقد، وقد يكون ظاهرا فيها الوضع. أو ما ترى ذلك فيما نقله عن صاحب التبيان (ج ١ ص ٢٧٨) من أن المرتضى نظم ذات يوم أبياتا فوقف به بحر الشعر، فأشار على من يحملها إلى الرضى ليتمها فأتمها بقوله:

فردّت جوابا والدموع بوادرٌ وقد آن للشمل المشتّ ورودُ
فهيهات من ذكرى حبيب تعرّضت لنا دون لقياه [illegible]

قال أبو الحسن النحوى: «فأتيت بها المرتضى، فلما قرأها ضرب بعمامته الأرض وبكى وقال: يعزّ علىّ أخى يقتله الفهم بعد أسبوع» فما جاء الأسبوع إلا وجاء نعى الرضى. هذا ما نقله صاحب التبيان، وجاء به صاحب العبقرية، فانظر ماذا كان تعليقه ونقده عليها. قال: «... وهذه نادرة يستبعدها الناس، ولكنها طريفة، إذ تجعل موت الشريف بالشعر شبيها بحال من يخنقه أرج الأزهار فيموت» أما كاتب هذا المقال فلا يرى فيما نقله الدكتور عن صاحب التبيان إلا قصة ظاهرا فيها الوضع، وأية دلالة على موت الشريف قد اشتمل عليها البيتان السابقان؟ ثم أين نقد الدكتور لهذا الوضع الظاهر؟ أشهد لقد غلب خيال الشاعر على موقف الناقد فى تعقيب المؤلف. فان فى تعليق الأستاذ مبارك بهذه العبارة السابقة روحا من الشعر، وعبقا من الفن الأدبى

ألمّ الدكتور زكى بنواح عدة من الشريف الشاعر، وأحسب أن مقاله عن الجندى المجهول الذى استهل به كتابه، إنما هو من المقالات التى تظهر فيها شخصية الرجل الذى يقدر كل التقدير منزلة الشريف، فهى رثاء العبقرية الموءودة فى كل زمان، ونفحة من نفحات الاجلال للنبوغ المقتول، والذكاء المحكوم عليه بالأهمال فى الشرق.

أفرد المؤلف فصلا عن (أسرار العلائق بين الرضى والصابى) مع ما بين الاثنين من اختلاف فى العقيدة، وقد صور المؤلف فى مستهله قوة الصلة التى كانت تجمع بين أبى إسحق الصابى وأبى أحمد الموسوى والد الشريف، ويعرض لأثر الكتاب فى هذا العصر (ص ٤٩ ج ٢)، وإلى الألفة والتوافق فى المذاهب الأدبية، وهذا من الفصول القوية التحرير، القوية العرض، الدقيقة البحث فى هذا الكتاب؛ وحجة الدكتور فى هذه الصداقة التى تجمع بين الاثنين أن الصابى كان يحبب للشريف أن يطلب الخلافة الاسلامية لنفسه، وكان الشريف شابا والشبان «يحبون أن يصلوا إلى قمم المجد فى يوم وليلة، ويبحثون عمن يزكيهم ويؤيدهم ويدعى لهم التفوق، وقد تلفت الشريف وهو طفل فرأى شيخا جليلا يتنبأ له بمستقبل جليل فأحبه كل الحب» وفى هذا



الفرقة القوميـــــة

«مجنون ليلى» المدير ولجنة القراءة

لا مرية فى أن لعزة النفس ، وحب المجد ، والأطماع الذاتية أثرا جيلا فى حياة الرجل ؛ ولا ريب فى أن نصف العبقرية ، هو الصبر يكال هامة الرجل العامل الدءوب بإكليل الظفر . فنحن إن كنا لا نتالط ولا نتهاون فى تسمية أعمال مدير الفرقة بأسماء لاتقبل أكثر من معنى واحد ، فلأننا نرى إلى دغدغة عزة نفسه وتشبثه بالمجد الذى يطمع أن يختتم فيه سفر حياته فى الفرقة القومية ، وإلى مداعبة صبره الدال على نصف عبقرية — كما يقولون — لم نر بعضها فى أعماله بهذه المؤسسة الأدبية ، نفعل ذلك لنستثير كوامن النخوة فيـه فتدفعه — برغم شيخوخته — إلى العمل الكامل الذى يرضى النفس الأديبـة ويغـذى الروح الأدبى العام . ولهذا نعد اختيار رواية «مجنون ليلى» وتمثيلهـا على مسرح الأوبرا مأثرة طيبة نذكرها لحضرة المدير بالخير الكثير ، على رغم أن له فى هذه الرواية رأياً خاصاً كان ينفثه فى المجتمعات الأدبية والأرستقراطية ، فيقول فيهـا إنها مجموعة أناشيد تختلف بالأوزان والقوافى ، وإن الحوار فيها هزيل سقيم ، وإن الباعث على تأليفها نزوة قامت فى رأس شوقى بك فى أيامه

الفصل بالذات إيماءات خفيفة للنوازع والحوافز السياسية التى كانت سائدة فى ذلك العصر . ولكم كنت أحب أن يعقد المؤلف فصلا أو فصلين يتناول فيهما الشريف الشيعى ، وما هما بالكثير على شاعر اختلف المؤرخون — العرب والأوربيون على السواء — فى مسألة تشيعه ، ثم هى تتصل اتصالا وثيقاً بالحركة السياسية فى عصره ، وتصور ميل الشريف للفاطميين فى مصر بقوله :

أحمل الضيم فى بلاد الأعادى وبمصر الخليفـة العلوى
من أبوه أبى ، ومولاه مولا ى إذا ضامنى البعيد القصى
لف عرقى بعرقه سيدا النا س جميعاً : محمدٌ وعلىٌّ

لقد جاءت هذه الأبيات عفواً فى كتاب (عبقرية الشريف) وكان الأمثل أن يتناول المؤلف مسألة تشيع الرضى ، وقد عدها (الكثيرون) ومنهم ابن الأثير فى الكامل (ص ٨ ج ٨) ، والمقريزى فى اتعاظ الحنفا (ص ١٥) اعترافاً صريحاً من الشريف الرضى بصحة نسب الفاطميين إلى على بن أبى طالب .

وفى كتاب الشريف مقدمة ؛ وللمقدمات عندى أهمية قصوى فهى عرض موجز للكتاب ، ولربما كانت المقدمات فى بعض الكتب كتباً بذاتها لها قيمتها الأدبية والفنية والنقدية ، كهذه التى يكتبها برنارد شو وألدوس هكسلى وغيرهما . أما مقدمة كتاب اليوم فهى إشادة بالكتاب والكاتب ، وإن كانا فى غير حاجة إلى ذلك ، إذ أن المؤلف عد الرضى أعظم شاعر عرفته العربية لأنه كتب عنه ، ولايدانيه فى مرتبته المتنبى الذى يرى الدكتور زكى أنه سيكون أعظم شاعر — هو الآخر — يوم أن يكتب هو عنه

وإنى لأسأل الدكتور ماذا يكون موقفه إن هو أبصر هذه المقدمة فى كتاب لشاب ؟ أكبر الظن أنه كان يتناوله بسيف المحارب ومبضع الجراح

هذه أوجه النقد فى كتاب (الشريف الرضى) الذى ألفه الدكتور وطلع به على أهل العراق فى محاضرات سمعوها ثم قرأها من بعدهم الناطقون بالضاد فى كل صقع وناد

وأسلوب صديقنا الدكتور أسلوب عربى قوى ، لا عوج فيه ولا التواء ، ينساب فى كثير من المواضع كالجدول الـ[illegible] ، كما أن مطالع جزءيه هذين يندر ألا [illegible] على تعابير ذاتية مبتكرة ، فليقرأ الأدباء كتابه [illegible] حتى إنه سفر بحث ونقد وأدب

عيسى مهنى

الأخيرة لتأليف الروايات الشعرية البعيدة عن بساطة الطبيعة أو شيء من هذا المعنى. فاغضاء المدير عن رأيه وتنازله عن النقد الفني لروح الرواية ومبناها، وسعيه إلى إبرازها على المسرح بعد إدخال بعض محسنات زخرفية عليها بالانشاد، وإظهار جهود الفرقة بالاخراج البديع والأضواء المتناسقة، قد أفاء على الرواية ظلا فنياً بارعاً لا أحسبه خالصاً لوجه الفن والأدب؛ وأسمح وسوسة شيطانى تقرر أسباباً نفسية خاصة بحضرة المدير وهي:

أولاً: الافلاس الأدبي. وثانيا: الكسل العبقرى. وثالثاً: حب الوقوع تحت تأثير أدبى ومعنوى إرضاء لطبيعة الشعراء فى الوحى والالهام؟!

ولما كان تبيان ذلك قد يستغرق مناصفحة قد يكون فى كتابتها الآن ما يقطع سلسلة الكلام عن إظهار علل انحطاط الفرقة وتدهورها، فانا نرجىء هذا الايضاح إلى ما بعد. أما الآن فلا ينبغى أن يفوتنا أن نهنئ الممثل احمد علام الذى استطاع بلباقة وكياسة أن يبعث هذه الرواية من مرقدها، وأن يجيد إجادة موفقة تقمص روح المجنون إلى حد حسبناه قد مسّه طيفُ جنةٍ مثله، كما نمتدح اقتدار الممثل الألمعى عباس فارس على إيفاء كل دور يمثله حقه الأكمل، وأن نطمئن حضرة مدير الفرقة بأن رواية المجنون خير رواية تدر الجنيهات لا القروش تترع خزانة الفرقة وتغمرها بالربح

* * *

حصرت، فى مقال سابق، علة انحطاط الفرقة وتدهورها فى مديرها الفاضل نفسه لاعتقاده أن ليس فى الأمة المصرية من هو أصلح منه لادارتها، واستنتجت من هذا الزعم أن لا وسيلة فى صلاح يرجى من رجل محدود المقيدة، وتعمدت تجاهل علة مستوطنة مستعصية فى لجنة القراءة إلى حين. وهأنذا أقول إن علة هذه اللجنة هى من ذات نوع علة المدير، أو هى جرثومة ... تقسمها قسمة عادلة خمسة أشياخ اكليريكيين ذهناً وعقلاً، لم يدخل « بعضهم » مسرحاً ولم ير تمثيلا أو داراً للسينما إلا فى القليل النادر

أردت استطلاع آراء هؤلاء السادة الأجلاء واحداً بعد واحد فأجاب الأول على سؤالى قائلا مانصه: «مهمة اللجنة تنحصر فى قراءة الروايات التى تقدمها الفرقة، وإصدار الحكم عليها إما بالقبول كما هى، وإما بالقبول بعد التعديل، وإما بالرفض»

قلت: هل تنظرون إلى الرواية إذا كانت مستكملة الخصائص الفنية المعروفة أم تستمعون إلى رأى مدير الفرقة؟ فقال:

«قد جرت العادة بأن مدير الفرقة هو الذى يتولى تقديم الروايات مشفوعة بتقارير عنها، وهو على جلالة علمه، وسماق أدبه ونفوذ نقده يأخذ نفسه فى هذا الباب بالتحفظ التام»

سألت: هل لرأى النقاد المسرحيين قيمة فى نظر اللجنة؟ فأجاب:

«الواقع أن النقاد المسرحيين إنما يبدون آراءهم بعد تمثيل الرواية حيث يكون الأمر قد انتهى وخرج عن يد اللجنة، على أنه قد يحدث أحياناً أن نرجع بواسطة مدير الفرقة بالضرورة إلى رأى كبار المخرجين (؟) وكبار الممثلين (كذا) فيما إذا كان يمكن تمثيل الرواية على الصورة التى قدمت بها أو لا»

قلت: إذا أجمع النقاد على القول بعدم صلاح رواية مثلتها الفرقة فهل من الحق الأدبى والفنى تحدي النقاد وتخطى أقوالهم وإعادة تمثيل الرواية؟ فقال:

«قلت إنه بمجرد إجازة رواية يخرج الأمر من يد اللجنة بتاتاً ولا تستطيع أن تعمل شيئاً»

قلت: من يكون المسؤول عن هذا إذا وقع، وقد وقع فعلا، فاعادة تمثيل روايات تزرى بسمعة فرقة أهلية متواضعة فضلا عن الفرقة القومية، منها رواية اليتيمة وغيرها.. فقال:

«أرجو إعفائى من هذا السؤال»

قلت: ألا تريد أن تقول كلمة فى الدفاع عن لجنة القراءة وقد قبلت هذه الروايات المشلولة، وفى الدفاع أيضاً عن مدير الفرقة وقد مثلها ثم أعاد تمثيلها؟ فكرر الرجاء بأن أعفيه من الرد ومن الخوض فى هذا الموضوع، وقد تفضل فحدثنى حديثاً ودياً خاصاً تناول فيه ناحية من «الأخلاق الحكومية» كما سماها لا أسمح لنفسى بنشره الآن

قلت: هل خطر للجنة أن توازن بين الروايات التى مثلتها الفرقة وبين الروايات التى تمثلها الفرق الأهلية وفرق الهواة لتعرف مبلغ تقدم الفرقة القومية على الفرق الأهلية؟ فقال:

«إننا لا نقارن بين الروايات التى تقدم للفرقة وبين غيرها، لأن المقارنة تقتضى فحص الروايات الأخرى وهى لم تقدم إلينا

قلت: أليس من واجب مدير الفرقة أن يفعل ذلك ليقدم

للناس ، على الأقل ، أحسن ماتمثله الفرق الأخرى . فأجاب بعد هنيهة من تفكير :

« ليس لأحد سبيل على أحد ، والفرقة القومية إنما تختار من بين الروايات التي تقدم لها هي ، وليس لها سلطان على من لا يقدم إليها روايته »

قلت : هل لا حظتم تقدماً في تأليف الروايات خلال السنوات الثلاث ، لأنى أزعم أن الروايات التي مثلتها الفرقة فى عامها الثالث أحط منزلة من الروايات التى مثلت فى العامين الثانى والأول ؟

اعترض محدثي الفاضل على الشطر الثانى من السؤال قائلا « إنى أجيبكم عن الشطر الأول فقط : على العموم يمكننى أن أؤكد لكم أنى شخصياً كنت من بضع سنوات فى شبه يأس من نجاح التأليف التمثيلى فى مصر . على أننى لم يرعنى ، وخصوصاً فى أثناء قراءة الروايات التى قدمت للمباراة فى هذا العالم ، لم يرعنى إلا أن أرى شبه طفرة فى الروايات المؤلفة مما يدل على أخذ الفكر الروائى فى نضوج بل فى نضوج سريع . حقيقة أننا لم نبلغ الكمال ولم نقترب منه بعد ، ولكن يمكننى أن أقول إننا نمضى سراعاً إلى الكمال . ويحسن فى هذا المقام أن أقول إن الجودة النسبية لم تقتصر على الروايات الست التى أجيزت ، بل إن هناك روايات أيضاً ، وإن لم تصل فى نظرنا إلى مدى هذه ، فان مؤلفيها ولا شك يستحقون الاعجاب والتقدير »

انتقلنا إلى الكلام عن أسباب صدوف كبار الأدباء من مؤلفين ونقاد عن الفرقة القومية ، وعبرتُ عن هذا الرأى بصراحة تؤلم اعتداد أعضاء لجنة القراءة بأنفسهم . فقال محدثى الفاضل بشيء من الحماس المتزن :

« لاشئُ يبعد المؤلفين عن الفرقة القومية سوى تهيبهم كتابة الرواية المسرحية ووقوفهم فى صف واحد مع الكتاب الناشئين »

أكتفى بهذا القدر من الحديث لضيق المجال ، تاركا التعليق عليه إلى المقال التالى، وبذلك يكون قد تيسر لى حضور تمثيل إحدى الروايات التي فازت بجائزة المباراة التى قال عنها وعن أخواتها حضرة محدثى الفاضل إنه رأى فيها شبه طفرة تدل على نضوج الفكر الروائى ومضيه سراعاً إلى الكمال

ابن عساكر